١٦



رقم الكتاب (١٠٥)

أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية

الدكتور/ جابر قميحة

الأستاذ المشارك للأدب العربي الحديث
بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

بسم الله الرحمن الرحيم

ح نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قميحة، جابر

أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية - المدينة المنورة.

١٩٢ص، ١٧×٢٤سم

ردمك : ٦ - ٢٢ - ٦١٨ - ٩٩٦٠

١- وسائل الإعلام ٢- اللغة العربية - تعليم أ- العنوان

ديوي ١٦١، ٣٠١ ١٨/١٥٣٩

رقم الإيداع : ١٨/١٥٣٩

ردمك : ٦ - ٢٢ - ٦١٨ - ٩٩٦٠

من إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبدالله وآله أجمعين، وبعد:

فإن اللغة العربية الفصحى بالنسبة للأمة العربية تعتبر أهم من أية لغة أخرى بالنسبة للأمة التي تتكلم بها، ويرجع ذلك لتفرد اللغة العربية بعدد من السمات والملامح، يجعل منها لغة فائقة جديرة بالمكانة العليا بين لغات العالم.

١ ـ فهي لغة القرآن الكريم: اللغة التي نزل بها جبريل ـ عليه السلام ـ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ على مدى ثلاثة وعشرين عاما، لم يخترم منها حرف واحد، ولم ينل التحريف منها كلمة واحدة، لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد تعهد بحفظه، ﴿إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون﴾ وهذه الحماية الإلهية تمتد إلى اللغة العربية الفصحى، لأنها وعاء القرآن، ولا حفظ «للمُحتَوَى» إلا إذا حُفظ الوعاء الذي يحويه.

والقرآن الكريم هو الكتاب المنزل الوحيد الذي ظل حتى الآن مكتوباً باللغة التي نزل بها. وهذه السمة تجعل للغة العربية مكانة روحية جليلة ـ لا في نفوس العرب فحسب ـ بل نفوس المسلمين جميعاً.

٢ ـ وهي لغة قومية : جمعت العرب من قديم في وحدة لغوية متماسكة، فكانت هي لغة التفاهم والتجارة والأدب والشعر والسفارات، ولم يَحل ما

بين اللهجات من فروق، من التقاء الجميع على هذه اللغة القومية المشتركة.

٣ ـ وهي لغة تراثية: بمعنى أنها كانت ـ وما زالت ـ الوعاء الأمين الذي حفظ التراث العربي والإسلامي، وصانه من الضياع، يستوي في ذلك العلوم الإنسانية، والعلوم التجريبية. بل إنها حفظت من الضياع كثيراً من شرائح التراث اليوناني الذي ترجم إلى اللغة العربية، وضاعت أصوله اليونانية، فترجمه علماء اليونان بعد ذلك من العربية إلى اليونانية.

٤ ـ وهي لغة قادرة: أي أن فيها من الملامح والإمكانات الذاتية ما حُرمت منه أو من بعضه اللغات الحيَّة، وهي في هذه الخصائص تتفوق على اللغات السامية جميعاً، وسنعرض لذلك أو لبعضه في الفصل الرابع من القسم الأول من هذا البحث.

• • •

وهذه «التفرّديّات» في اللغة العربية كانت ـ وما زالت ـ من الأسباب الرئيسة التي دفعت أعداء الإسلام من الصليبيين والملاحدة، ومَنْ والاهُم من المصريين والعرب ـ إلى محاولة تخريب اللغة العربية وهدمها بالدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى، واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وإلغاء النحو، وتسكين أواخر الكلمات.... إلخ. وقد عرضنا لكل أولئك في القسم الأول من هذا البحث بفصوله الأربعة.

• • •

ومن ناحية أخرى كان من المفروض أن يكون أبناء العربية، خصوصاً العلماء والمعلمين والمثقفين على مستوى «عظمة العربية وجلالها» فيحافظون على مكانتها، ويعملون ـ بأقصى طاقاتهم وإمكاناتهم ـ على إنمائها ونشرها، وتكوين الأجيال الجديدة بالحفاظ على هذه الأمانة، ولكننا ـ للأسف ـ نجد

مظاهر متعددة لهبوط مستوى اللغة العربية:

١ ـ فندر مَنْ يحفظ القرآن الكريم بعد اختفاء الكُتّاب في المدن والقرى. وقد كان هو المحضن الذي يحفظ فيه الصغار القرآن حفظاً كاملاً قبل بلوغ الحادية عشرة.

٢ ـ وانكمشت ـ بقانون تنظيم الأزهر ـ المهام التي كان يضطلع بها في الحفاظ على التراث والعربية.

٣ ـ وهبط مستوى الطلاب في العربية بفروعها المختلفة وخصوصاً النحو.

٤ ـ والأشد من ذلك إيلاماً: هبوط مستوى مُعلّم اللغة العربية، وأصبحت العامية وسيلته للشرح لعجزه عن استخدام الفصحى، وفاقد الشيء لا يعطيه.

٥ ـ وقل عدد الطلاب (الحاصلين على الثانوية العامة أو الثانوية الأزهرية) الذين يلتحقون بكلية دار العلوم أو أقسام اللغة العربية بكليات الآداب، أو كليات اللغة العربية بالأزهر، بل لا يلتحق بهذه الكليات إلا من أوصدت في وجهه أبواب الكليات الأخرى.

٦ ـ أما مستوى الإعلاميين، وقيمة المادة الإعلامية، ولغة الأداء الإعلامي، فهذا جزء أساسي في هذا البحث.

• • •

في القسم الثاني من هذا البحث جاء الحديث عن خطورة وسائل الإعلام، وأثرها في رفع مستوى اللغة العربية، وكذلك أثرها في تخريب اللغة العربية والإساءة إليها. وسنرى فداحة هذا التأثير التخريبي الهدّام.

• • •

ثم كان ختام هذا البحث: بتوصيات واقتراحات لا تزيد على أن تكون مجرد

«معالم على طريق الإنقاذ». نعم إنها مجرد خطوط ومعالم تعتمد على اجتهاد ورؤية شخصية آمل أن تكون سديدة.

ولكني أقول بعد ذلك إن الإنقاذ أو الحل أكبر من أن يعتمد على رؤية واحدة، فواقع اللغة العربية الآن يتطلب وضع خطتين:

أ ـ خطة إنقاذية عاجلة، كعمل رجال الإسعاف بالنسبة للجريح المثخن بالجراح، مهمتهم إيقاف نزف الدم وحماية الجراح من التلوث، إلى أن يتأتى العلاج المتأني الخبير في المستشفى.

ب ـ خطة طويلة المدى: تتضافر فيها الجهود على المستوى العربي والإسلامي، بمتابعة عملية جادة مخلصة، وعمل متواصل لا ينقطع، مع الإفادة من كل جديد في عالم التقنية.. حتى نرى لغتنا في مكانها العظيم الجليل والله ولي التوفيق.

الظهران ـ غرة المحرم ١٤١٥هـ



القسم الأول

اللغـــة العربيـــة

المسيرة والصمود



الفصل الأول

في ركب التاريخ

اللغة العربية

كلمة التاريخ وكلمة الواقع

ليس من همّنا أن نحاول البحث في أعماق التاريخ عن أولية اللغة العربية، وأولية شكلها الكتابي، فذلك من مهمات علماء اللغة وفقهائها، على أن هذا ـ من الناحية العملية ـ لن يفيدنا شيئاً في بحثنا هذا.

ولكن هناك حقيقتان لا يستطيع أحد إنكارهما وهما:

(١) أن اللغة العربية في أولياتها ـ وهي مرحلة الطفولة الباكرة، التي ترجع إلى ما قبل الإسلام بقرون مديدة ـ هذه اللغة في سنوات الميلاد والحبو، لم تكن بالصورة التي كانت عليها في أوائل القرن السابع الميلادي الذي نزل القرآن في نهاية العقد الأول منه، بل كانت في صورة أبسط، وأقل مستوى، وأقل مفردات.

(٢) أنه كان هناك ـ من فجر نشوء هذه اللغة ـ لهجات خاصة متعددة بتعدد القبائل، وتباعد أماكن وجودها في الجزيرة العربية[١] ونشأ عن هذا التعدد فروق لغوية تمثلت فيما يأتي:

أ ـ شكل الكلمات في بعض حروفها: كاستبدال الحِمْيريّين الألف والميم بالألف واللام (ال) أي أداة التعريف، فالحديث الشريف: «**ليس من البر الصيام في السفر**» يكتب وينطق هكذا: «ليس من أمبر أمصيام في أمسفر»

ب ـ نطق الكلمات: كاستبدال الشين بالكاف، فيقال (عيناش) و (جيدش) بدلا من (عيناك) و(جيدك). وهذا ما يسمى بالكشكشة. ومثل استبدال الجيم بالياء

(١) لمعرفة كيف تكونت اللهجات: ارجع إلى الصفحات من ١٨ إلى ٢٢ من كتاب «في اللهجات العربية» للدكتور إبراهيم أنيس.

إذا جاء في الكلمة عين. فكلمتا (على) و (عشى) تصبحان (علج) و(عشج). وهذا ما يسمى بالعجعجة.

جـ ـ الدلالات المعنوية للكلمات : فكلمة أدفأ تعني جلب الدفء، ولكنها بلغة كنانة تعني القتل[1].

وبتضامّ هذه الدلالات بعضها إلى بعضها الآخر نشأ ما يسمى «بالمشترك اللفظي» الذي يعني أن تكون الكلمة واحدة، ولها معانٍ متعددة ككلمة العين التي تعني: الناظرة، والبئر، والرجل العظيم، والجاسوس...إلخ.

• • •

ولكن هذه الفروق اللغوية لم تقف عقبة أمام التقاء القبائل العربية على (اللغة الأم) التي استكملت عناصر نضجها قبل نزول القرآن بقرن من الزمان ـ على الأقل ـ والتي تمثلت في لغة قريش التي تعتبر «لغة مثالية» انصهرت فيها جميع اللهجات واللغات العربية، لغة تمثلت ما اقتبسته من لهجات القبائل الوافدة على مكة وعكاظ، لغة تزودت بما تخيرته من ألسنة أهل اليمن وحوران والنبط والقبط والروم ومصر والعجم والسريان والحبش، لغة صهرها القريشيون في بوتقتهم، وحوَّلوا ما استقرضوه إلى ألفاظ عربية، فواصلت اللغة النموذجية تطورها، واستعارت ما ينقصها مما أخذته من لغات الشعوب البعيدة والنائية، ومن لهجات الأقوام العربية المتاخمة والقريبة»[2].

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن هذه اللغة توافر لها الشرطان الأساسيان اللذان لا تكون اللغة مشتركة إلا بهما، وهذان الشرطان هما:

(١) تذكر بعض الروايات التاريخية أن خالد بن الوليد حينما أسر بني يربوع من تميم في حروب الردة، كان الجو باردًا جدًا، فنادى في حراس الأسرى «أدفئوا أسراكم» فقتلهم الحراس. لأنهم كانوا من كنانة، وأدفا في لغة كنانة تعني القتل.

(تاريخ الطبري ٣/٣٧٨).

(٢) ريمون ودنير طحان: اللغة العربية وتحديات العصر ص١٧.

أ ـ أن تمثل مستوى لغويا أرقى من لهجات الخطاب في غالب الأحوال، ومن ثم يتخذها الناس مقياساً لحسن القول، وإجادة الكلام.

ب ـ وهي كذلك ـ كما يرى هنري سويت ـ لا يستطيع السامع أن يحكم على المنطقة التي ينتمي إليها المتكلم بهذه اللغة[١].

● ● ●

وبناءً على ما سبق يبدو الخلاف الذي ثار قديماً وحديثاً ومؤدّاه: هل نزل القرآن بلغة قريش خاصة؟ أم باللغة العربية المشتركة آنذاك؟[٢]، أقول: يبدو هذا الخلاف لفظيا، فلهجة قريش الخاصة كانت تمثل اللغة المشتركة لقبائل العرب كلها، وذلك لعوامل متعددة أهمها:

(١) العامل الديني: فمكة هي مركز الكعبة، وبيت الله الحرام، حيث يحج العرب، ويفدون إليها بالآلاف كل عام.

(٢) العامل الاقتصادي : فقد كانت مكة مركزاً تجارياً مهما في الجزيرة العربية، ومنها كانت تنطلق القوافل في رحلتي الشتاء والصيف.

(٣) العامل الاجتماعي والأدبي : فقد كانت قريش موضع توقير وتبجيل بين القبائل العربية، وذلك أصلاً ناتج عن مكانتها الروحية، فقصدت قريش للتحكيم في القضايا والدماء بين القبائل، والسفارة بينها للسلام وحقن الدماء.

---

(١) انظر د. إبراهيم أنيس «مستقبل اللغة المشتركة» ٨

وانظر كذلك «المرونة في اللغة العربية» بحث للأستاذ عبدالحميد حسن. وخصوصا الصفحات ١٢٧ ـ ١٢٩. وهو منشور في مجلد الدورة التاسعة والعشرين للمجمع اللغوي بالقاهرة (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣).

(٢) انظر في تفاصيل هذا الخلاف البحث القيم الذي كتبه الدكتور حسن عيسى أبو ياسين بعنوان (الفصحى بين نظريتين : نظرية القدماء، ونظرية المحدثين) من ص٣ إلى ص٢٣ من مجلة جامعة الملك سعود. م/٣ ـ الآداب ١ ـ ١٤١٤.

وبقرب مكة كانت تقوم سوق عكاظ كل عام، وهي سوق تجارية أدبية يتبارى فيها الشعراء والأدباء والخطباء وما نقل إلينا من أخبارها، وما طرح فيها من شعر وخطب جاء بلغة قريش، فساعد ذلك على إنمائها، وانتشارها، وسيادتها[١].

(٤) العامل اللغوي الفني: فقد كانت هي أفصح اللغات لخلوها من العيوب النطقية واللغوية التي أشرنا من قبل إلى بعضها، مثل عنعنة تميم وتلتلة بهراء، وكشكشة ربيعة، وكسكسة مضر، وعجرفية ضبة، واستنطاء اليمن، وعجعجة قضاعة[٢].

ويعلل ابن خلدون فصاحة لغة قريش «بُبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم. ثم من اكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان، وبني أسد وبني تميم. وأما من بَعُدَ عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد، وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية»[٣].

ولعل هذا هو ما قصد إليه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ بقوله: «وقريش هم أوسط العرب في العرب داراً، وأحسنه جواراً، وأعربه ألسنة»[٤].

• • •

وليس معنى ذلك أن قريشاً فرضت لهجتها على العرب ـ كما هي ـ ضربة لازب، بل تم ذلك عفويا وتدريجيا على مدى طويل، وتقبل نفس واقتناع.

(١) ومن أشهر الأخبار الأدبية التي تنوقلت عن عكاظ: قصة احتكام الخنساء وحسان بن ثابت إلى النابغة الذبياني في شعرها وما دار بينه وبينهما (انظر المرزباني: الموشح ٨٢ ـ ٨٤).
وانظر كذلك: شوقي ضيف: العصر الجاهلي ١٣٣.

(٢) انظر د. إبراهيم بيومي مدكور: في اللغة والأدب ٣٢.

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٠٧٢

(٤) لسان العرب. مادة (عرب) ٢٨٦٥/٤.

ولا يعني ذلك أن لهجة قريش في صورتها الكاملة المستقلة تحولت كما هي إلى اللغة العربية المشتركة، بل هي لهجة قريش الصافية مطعمة - كما ألمعنا من قبل - بكلمات من لهجات الآخرين. وهذا ما أبرزه السيوطي في قوله: «كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحج إلى البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ»[(١)].

وربما كان أقدم نص في هذا المعنى هو قول قتادة: «كانت قريش تجتني - أي تختار - أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتها لغتُها فنزل القرآن بها»[(٢)].

وكانت اللهجة القريشية - بالمفهوم السابق - أي الفصحى العربية - ذائعة منتشرة قبل نزول القرآن بكثير، والدليل على ذلك أن أقدم النصوص الأدبية التي وصلت إلينا كأحدثها في مضامينه وطوابعه الفنية واللغوية[(٣)].

• • •

وكان نزول القرآن بمثابة الضمان الإلهي لبقاء اللغة العربية الواحدة. فقوله تعالى: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[(٤)] يمنح الضمان للغة العربية التي نزل بها هذا الكتاب الكريم.

ومن ناحية أخرى: أصبح العرب والمسلمون ينظرون إلى اللغة العربية الفصحى نظرة تقدير وتبجيل، لأنها الوعاء الذي يحفظ كتاب الله. لذلك تطلعت كثير من الشعوب الإسلامية التي تتكلم بلغات غير العربية إلى محاولة تحقيق أمل - طالما كانت تتطلع إلى تحقيقه بعاطفة دينية قوية - وهو أن تتحدث باللغة العربية

---

(١) المزهر في علوم اللغة ١/١٢٨ (والنص نسبه السيوطي إلى الفراء)

(٢) لسان العرب: السابق: الصفحة نفسها.

(٣) ضيف: العصر الجاهلي ١٣٧

(٤) سورة الحجر ٩

الفصحى، وأن تتخذها لساناً لها، لأن هذه اللغة هي لغة القرآن الكريم الذي يتعبدون، ويتقربون إلى الله بتلاوته، فتوجهت بعض شعوب العالم الثالث إلى نشر اللغة العربية بها، تمهيداً لاتخاذها لغة رسمية لها. وما ذلك إلا لأنها لغة القرآن الكريم.[1]

وكان القرآن بما دعا إليه من قيم دينية وتربوية واجتماعية ونفسية هو خير منقذ للأمة العربية من ظلمات الكفر والجهل والضياع والتفتت التي كانت تتردى فيها، وبه صارت الأمة خير أمة أخرجت للناس، بعد أن دكت مَركزَيْ الجبرية والظلم والفساد: دولتي الفرس والروم.

وأصبح البيان القرآني مثلا أعلى لمن ينشد البلاغة والحكمة وإعجاز الأسلوب، وغذّى القرآن الأساليب العربية بكثير من التراكيب والصور الجديدة. وأصبح الشعراء والخطباء العرب يُطعّمون بيانهم بكثير من آياته وألفاظه.

ثم نزحت اللغة العربية من شبه الجزيرة مع الفتوح الإسلامية، واستقرت في بيئات معمورة جديدة كانت آهلة بسكان يتكلمون لغات متباينة، بعضها كان قريب الشبه بلغة الفاتحين، والأخرى لا تكاد تمت إليها بصلة، وبدأ الصراع اللغوي يتخذ صوراً مختلفة في تلك البيئات المغزوّة، فهو هزيل حيناً، وعتيق حيناً آخر حتى تم الفتح، واستقرت المملكة العربية، وكان أن انتظمت اللغة العربية تلك النواحي التي تأثرت بالثقافة العربية الإسلامية، والتي تعرف الآن بالأمم العربية الشقيقة، وقد نزحت اللغة العربية إلى تلك البيئات المتعددة في صورتين:

---

(١) وأشهر وأخلص من قام بمحاولات جادة في هذا الشان: الرئيس الباكستاني ضياء الحق - رحمه الله - فقد كان يحرص على نشر العربية في باكستان على نطاق واسع، تمهيداً لاتخاذها اللغة الرسمية للبلاد بدلا من الأوردية والإنجليزية. ومن حسناته: إنشاء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد في نوفمبر ١٩٨٠ بالتعاون مع جامعة الملك عبدالعزيز بجدة لتخريج القضاة والعلماء الذين يعملون في حقل الدعوة الإسلامية. وإنعاش اللغة العربية التي زادت أهميتها في الأيام الأخيرة «د. محمود محمد عبدالله: اللغة العربية في باكستان ١١٢-١٢٤». وقد أنشئ في الجامعة بعد ذلك معهد مستقل للغة العربية. وكان لي شرف التدريس في هذه الجامعة لمدة خمس سنوات (١٩٨٤ - ١٩٨٩).

إحداهما : موحدة منسجمة، وتلك هي الآثار الأدبية والقرآن الكريم، تلك اللغة النموذجية التي نمت وازدهرت قبل الإسلام في بيئة مكة، وما حولها.

والأخرى: تشتمل على تلك الصفات الكلامية التي امتازت بها لهجات القبائل المتباينة إبان الفتوح الإسلامية[1].

وكان لهذه اللهجات الخاصة مكان في التعامل اليومي بين الناس في أغانيهم، وفي أسواقهم وتعاملهم الأُسري، إلا أن اللغة الأدبية «ظلت موحدة في البيئات العربية الجديدة زمناً طويلاً لم يصبها إلا القليل من التغيير حين استقلت هذه البيئات بعضها عن بعض، ولكن كانت دائماً مفهومة وفي متناول المثقفين من الناس، كما ظلت الآثار الأدبية القديمة نماذج تُحتذى ويُعتز بها»[2].

• • •

واتسع نطاق اللغة العربية في العصر الأموي، فدخلت العربية مجالًا جديداً هو مجال التأليف، إذ لم يعرف المجتمع التأليف بالعربية إلا في هذا العصر. ولعل من الطريف أن يكون ابن المقفع المتوفى سنة ١٤٢ من أوائل من استخدموا اللغة العربية كلغة كتابة، وقد ترجم من البهلوية إلى العربية مجموعة من الكتب منها (خداي نامة) أي (أخبار الملوك)، وكتاب (كليلة ودمنة). وكان على كل من يعيش في الدولة الإسلامية، ويرغب في الإسهام بالتأليف أن يتعلم العربية ليترجم إليها، أو يكتب بها، أو يفهم المأثور الذي كتب بها، ولا شك أن استخدام العربية في مستويات جديدة دفع إلى تجديدات لغوية بعيدة المدى: فسيبويه يتحدث عن الاسم والفعل والحرف كاصطلاحات ذات معنى محدد، وخلع على هذه الكلمات مدلولاً علمياً. وهو حين يتحدث عن الهمس والجهر والمخارج إنما يبتكر اصطلاحات يستقيها وينتقيها من خضم لغة الحديث، ويستخدمها كاصطلاحات علمية،

(١) انيس : في اللهجات العربية ٢٣.

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

محدداً معناها تحديداً يتفق مع طبيعة الاصطلاح العلمي. وكذلك فعل الخليل عندما اكتشف أوزان الشعر العربي: كالطويل والخفيف والكامل... الخ. فقد أخذ هذه الكلمات من لغة الحياة العامة، واستخدمها استخداما حدد له دلالة جديدة. وفي كل فروع المعرفة نجد ظهور اصطلاحات علمية مع ظهور العلم نفسه.

• • •

وفي القرن الرابع الهجري كانت العربية تُؤخذ تعلماً من الكتب، لا بمخالطة الأعراب، ولذا ظهرت مجموعة من الكتب، منها كتاب قدامة بن جعفر «جواهر الألفاظ» وكتاب «الألفاظ» لابن السكيت، وكتاب «الألفاظ الكتابية» لعبدالرحمن الهمذاني، وكلها كتب تعليمية من القرن الرابع الهجري.

• • •

وابتداء من القرن الخامس الهجري بدأت السيطرة الفارسية والتركية على أجزاء الوطن العربي، فأعلن السلجوقيون في الشطر الشرقي من الدولة الإسلامية اتخاذ الفارسية لغة رسمية، وكثرت المؤلفات بالفارسية، وإن لم تتخلَّ هذه المؤلفات عن المصطلحات العربية.

وفي غير هذه المنطقة كانت السيطرة العثمانية إلى القرن التاسع عشر، فكانت التركية هي اللغة الرسمية: لغة الإدارة والوظائف والدواوين، والمادة الأساسية في كل المدارس، حتى بعد دخول الإنجليز مصر، وإن بدأوا يزيحونها من المدارس تدريجيا، وكانت العربية في المدارس الحديثة تدرس مع الدين في سياق واحد، فبعض المدارس كان يسمي هذه المادة الواحدة: (نحو وصرف ومطالعة وتوحيد وواجبات العبادة والأدب) وظل الأزهر يؤدي دوراً مهما في حماية الدين والعربية.

• • •

وهكذا ارتبطت اللغة العربية الفصحى طوال هذه الفترة التي بلغت قرابة عشرة قرون - بالطبقات غير الحاكمة في المجتمع، فالمتحدثون بالعربية كانوا يمثلون الطبقات المحكومة. وكانت العناصر الحاكمة من أصول غير عربية.

● ● ●

كما ارتبطت دراسة العربية الفصحى في الوجدان الشعبي بدراسة الدين، وأصبح رجل الدين والمتخصص في العربية شخصاً واحداً هدفه الدين، ووسيلته العربية[1].

● ● ●

وفي العصر الحديث تعرضت اللغة العربية لمؤامرات متعددة لِنَخْرِ بُنيانها، بل لِنَحْرِها، والقضاء عليها، وإحلال البديل أو البدائل لتحتل مكانها، وبذلك يتسع المجال للقضاء على الإسلام نفسه، بالقضاء على لغة كتابه، ودستوره العظيم.

وأنا لست من أنصار «التفسير التآمري للتاريخ» وهو تفسير يخلع على كل دعوة غربية، أو تصرف أجنبي، أو اجتهاد شخصي من الآخرين في أمورنا وعلومنا صفة «التآمر» المنبثق من سوء النية. وما أقوله لا يعني أن هذا التفسير خاطئ تماماً، فهناك - ولا شك - مؤامرات حيكت وتُحاك ضد الإسلام والمسلمين والعروبة والعربية.. مازلنا نعيش آثارها المنكودة حتى الآن، ولكن مصدر الخطأ في هذا التفسير هو التعميم الحاد في الحكم بالتآمرية على كل ما يصدر عن هؤلاء.

وأعود فأكرر أن حكمي هذا لا ينفي وجود هذه النزعة عند كثيرين من الغربيين، ومن يسير على دربهم من عرب ومصريين، وحتى يستقيم الحكم على الدعوة أو العمل بالتآمرية لا بد من الاستئناس بأمور متعددة أهمها:

(١) انظر في تفصيل هذه المسيرة التاريخية : د. محمود فهمي حجازي: «اللغة العربية عبر القرون» من ص٥٢ - ٦٨. وكذلك: جرجي زيدان «الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية » ٣٤ - ٣٨.

وانظر كذلك من ص٩ - ١١ من محاضرة الدكتور محمود حافظ «اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي، ووسائل النهوض بها في مصر» وهي منشورة في كتاب الموسم الثقافي السادس لمجمع اللغة العربية الأردني.

١ ـ المواقف السابقة للشخص من قيمنا ولغتنا وقضايانا، فلا يقيَّم الجديد إلا في ظل السوابق والعطاءات السابقة.

٢ ـ التحقق من طبيعة العمل المطروح، أو الدعوة المعروضة، ودراستها دراسة موضوعية جادة، لمعرفة طبيعتها وأبعادها وآثارها ونتائجها.

٣ ـ تجنب عمومية النظر، وتعميم الحكم، بل ينظر إلى «الشخص الفرد» وعمله المنسوب إليه، ولا يُحكم عليه كجزء من تيار أو اتجاه أو مذهبية حُكِمَ عليها مسبقا بالإدانة[١].

• • •

وفي العصر الحديث نهضت دعوات «لإصلاح» اللغة العربية وتيسيرها والنهوض بها. فمن هذه الدعوات ما كان وراءه حسن النية والحرص على ازدهار العربية، بصرف النظر عن قيمة مضمون الدعوة. ومن هذه الدعوات ما كان تآمريا، يهدف إلى هدم العربية وتخريبها، وإن ادّعى أصحابها نقيض ذلك.

وفي الصفحات التالية نعرض لهذين اللونين متخذين «محمود تيمور» مثلا لدعاة تيسير العربية، فنتعرف ـ في إيجاز ـ على مضامين دعوته.. ثم نقف معها وقفة نقدية.

(١) كالحكم على كل المستشرقين بأنهم جميعا يمثلون تيارا يهدف إلى القضاء على الإسلام والعربية، مع أن فيهم من قدم أعمالا جليلة للإسلام والعربية مثل المستشرقة «زيغريد هونكة» في كتابها (شمس العرب تشرق على الغرب)، ومثل ليوبولد فايس الذي كتب: روح الإسلام، والطريق إلى مكة. وقد قادته دراسته العميقة للإسلام إلى إعلان إسلامه، وسمى باسم (محمد أسد) انظر: جابر قميحة: آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم ١٥ ـ ٢٢.

الفصل الثاني

أصوات إصلاحية



محمود تيمور وتيسير العربية

في كتابه القيّم «مشكلات اللغة العربية» يدعو محمود تيمور إلى خدمة اللغة العربية، والنهوض بها، ونشرها، ولن يكون ذلك ـ من وجهة نظره ـ إلا بأمور أربعة هي:

١ ـ تزويد اللغة.

٢ ـ تبسيط اللغة.

٣ ـ تيسير النحو.

٤ ـ تعميم الضبط.

• • •

ولتزويد اللغة: يطرح تيمور وسائل متعددة في هيئة أسئلة:

ـ هل نلجأ إلى التعريب: فأوتومبيل نجعله «تمبيل» والترامواي نجعله «ترام» والسينما توغراف تكون «السيما»(١)؟

ـ أم نؤثر اللفظ العربي إما بالاشتقاق من المواد اللغوية العربية، وإما بإحياء الألفاظ التي نلمح الملابسة بينها وبين المعاني الجديدة: كالسيارة للأتومبيل، والقطار: للبابور؟(٢)

ـ ويعرض تيمور الخلاف بين العلماء في قبول المولّد الشائع على ألسنة الناس، مثل: البلّاص، والدّوّار، والحلّة، والطّرحة.

(١) محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية ١١.

(٢) السابق الصفحة نفسها.

ولا يرجّح تيمور اتجاها من هذه الاتجاهات، بل يرى أن الوجه المفضل «أن نتوسط في الأمر، وأن يكون موقفنا في مسألة المعرّب والمولّد موقف مرونة وموازنة، وتقدير لملابسات كل لفظ، ومدى الحاجة إليه، فلنشتق، ولنستضف من العامية، ولنستحي القديم من الألفاظ، ولنعرّب الأجنبي متوخين في كل ذلك الحكمة. وحريٌّ بنا أن ندع ذلك للهيئة اللغوية المشرفة، على أن تراعى سهولة الألفاظ، وموسيقية الحروف، وخفة الصيغ على السمع[1]. كما يجب عرض الألفاظ الجديدة عرضاً كافياً لإشاعتها[2].

● ● ●

ويدعو تيمور إلى تبسيط اللغة بما يأتي :

١ ـ الاقتصار في الألفاظ الكتابية على المألوف المأنوس، بعيداً عن المهجور والوحشيّ.

٢ ـ تحديد معاني الألفاظ تحديداً منطقيا، فلا نسرف في اصطناع المترادف الذي يجعل الألفاظ غير مفصلة على قدود المعاني[3].

● ● ●

ويرفض تيمور الدعوة إلى التبسيط اللغوي بإنشاء لغة مختزلة ذات ألفاظ محدودة، لا تتجاوز بضع مئات، مع تأديتها لجميع المعاني، وذلك محاكاة للغة الإنجليزية المسماة (البيسك)[4] لأن مثل هذه اللغة لا يمكن أن يكتب لها النجاح، وذلك للأسباب الآتية:

---

(١) السابق: الصفحة نفسها.

(٢) السابق ١٣.

(٣) السابق ١٣.

(٤) السابق: الصفحة نفسها.

(١) أن المتعلّم لها لا يستطيع أن يستعمل سوى ألفاظها، ولا أن يفهم غيرها، فإذا قرأ لا بد أن يقرأ المكتوب بهذه اللغة وحدها، وبذلك لا تكون له صلة باللغة الأصلية، ولا بما تنتجه عامة أدبائها وعلمائها.

(٢) والألفاظ لقلّتها تؤدي معاني كثيرة، فيتذبذب اللفظ بين أشتات المعاني. وهذا ما يناهضه مصلحو اللغات في الأمم.

(٣) وهذه اللغة لا تصلح للأدب والشعر، لأنهما يتطلبان موسيقية لفظية، ويقتضيان إيثار تعبير على تعبير.

(٤) وهي لا تصلح كذلك لبعض العلوم والفنون التي تستلزم دقة في البيان، لا تتيسر مع قلة الألفاظ وضغطها[١].

• • •

ويدعو تيمور إلى تيسير النحو «بتصفية القواعد الكثيرة وغربلتها، فما كان منها جوهريا أبقيناه، وحذف ما لا يلائم التطور العصري للغة»[٢].

• • •

ونحن مع الأستاذ تيمور فيما ذهب إليه في مسألتي تزويد اللغة وتبسيطها، ولكنا نرى مسألة تيسير النحو أعقد مما تصوره بكثير، لأن تعقد المشكلة يبدأ أساساً - لا من قواعده - ولكن من تدريس قواعده، واعتبار النحو غاية، لا وسيلة، وقد عرض أستاذنا عبدالعليم إبراهيم خطة لهذا التيسير تتعلق بالمنهج، والكتاب وطريقة التدريس والاختبارات والتمرينات. وأهم الخطوط الرئيسة لهذه الخطة:

(١) انظر السابق: الصفحة نفسها.

(٢) السابق ١٦.

(أ) في المنهج:

١ ـ الاقتصار على الأبواب التي لها صلة بصحة الضبط، بعيدا عن الصور الفرضية في التصغير والنسب، وإعراب لا سيما. وكذلك يتجه إلى النواحي العملية في تدريس الصرف.

٢ ـ التدرج في عرض أبواب القواعد على أن يكون ذلك في وحدات متكاملة، تشمل كل وحدة عدة أبواب متجانسة أو متحدة الغاية.

(ب) في الكتاب:

١ ـ مسايرته للمنهج في اتجاهه وروحه.

٢ ـ اتخاذ اللغة الحية، والنصوص الفنية الرائعة أساسا لدراسة القواعد، والتطبيق عليها، بعيدا عن الأمثلة المبتورة الجافة.

(جـ) في الطريقة:

١ ـ مناقشة الأمثلة من الناحية المعنوية قبل مناقشة دلالتها النحوية.

٢ ـ التركيز على الانتفاع بالقواعد في الضبط، لا حفظ الأحكام النحوية.

٣ ـ تجنب الطريقة الجدولية المعقدة التي تحول درس القواعد النحوية إلى درس شبيه بالقواعد الرياضية.

(د) في الاختبارات والتمرينات:

١ ـ مراعاة، ومتابعة مدى انتفاع التلاميذ بالقواعد في تأليف الجمل وضبطها ضبطا صحيحا.

٢ ـ ترك المطالبة بتكوين جمل تثقلها القيود والشروط.

٣ ـ ترك المطالبة بذكر الأنواع والتقاسيم، والتعاريف، ونص القواعد[1].

● ● ●

(٢٨) انظر عبدالعليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ٢٠٩ ـ ٢١٢.

ويرى تيمور ضرورة ضبط الكلمات بالشكل، ويرى ضرورة التفكير في طريقة أسهل لضبط الكلمات. وحتى نتمكن من ذلك «لا بد أن نبدأ باستعمال الشكل في حالته الراهنة، فنعممه في جميع الكتب التي تتدارسها دور التعليم في المكاتب الصغيرة، إلى المعاهد العالية، لا فرق في ذلك بين كتاب جغرافي أو رياضي أو نحوي، وحين يبدأ التلميذ حياته العلمية على هذا النحو، ويمضي في ذلك أثناء تنقله في درجات التعليم، لا يشب إلا قارئا مطبوعا على الصحة والصواب، فتصبح هذه الخطوة أولى خطوات تعميم الشكل، وضبط اللغة، وتقريب نشرها بين أهليها، ولا سيما إذا تبع ذلك التوفيق في ابتكار علامات يسهل على أيدي العمال استخدامها في جميع الحروف، كما يسهل على أقلام الكتاب استخدامها فيما تجري به الأقلام»[(١)].

• • •

ودعوة تيمور هذه من قبيل تحصيل الحاصل، فهو يدعو إلى الالتزام الكامل بضبط الكلمات من أولى المراحل التعليمية إلى نهايتها، وأعتقد أن الدعوة بهذا الإطلاق تغفل قيمة الفوارق بين مراحل التعليم المختلفة، واختلاف قدرة التعرف والاستيعاب عند الطلاب من مرحلة إلى أخرى.

وربما كان الحل المعقول هو التدرج، فيكون ضبط بنية الكلمة كاملا في المرحلة الأولى، ويبدأ التخفف التدريجي من الضبط، فيكتفى بضبط أواخر الكلمات في المرحلة الثانوية (بالنسبة للكتب المقررة). وبعد ذلك لا داعي للضبط إلا في حالة الضرورة، إذا ترتب على عدم الضبط إبهام، أو لبس، أو تداخل في المعنى، كما أن تعميم الضبط بصورته الكاملة بصرف النظر عن مستوى القراء سيعطل، بل

(١) تيمور: السابق ٢٠. في سنة ١٩٤٤ اقترح علي الجارم استعمال شكلات جديدة للدلالة على الحركات، تكون متصلة بالكلمة ذاتها. والذي ينظر إلى هذه الشكلات يؤمن بأن الجارم خرج من البسيط إلى المعقد. وكان العقاد على حق حين سماها بالزعانف. كما أنه سيجعل الكلمة العربية ذات بنية جديدة تكاد تكون مقطوعة الصلة بالبنية القديمة (انظر نفوسة زكريا: تاريخ الدعوة إلى العامية ٢٢١ ـ ٢٢٢).

سيوقف قدرة الفهم بلا ضبط.. تلك القدرة التي يكتسبها القارئ بطول الدربة والمعاناة مع الكلمات غير المضبوطة.

• • •

وكان لتيمور دعوة لتسهيل الكتابة العربية جديرة بالتقدير والإعجاب، لأنها دعوة عملية منتجة. وهي دعوته سنة ١٩٦١ إلى اختصار حروف العربية إلى الشكل الواحد، وبذلك نكون خفضنا عيون صندوق الطباعة من قرابة ثلاثمائة خانة إلى قرابة ثلاثين فقط[1]: فحرف العين مثلا: له الأشكال الآتية طباعيا:

عـ (العين الأولى). ـعـ (العين المتوسطة). ـع (العين المنتهية بعد حرف متصل). ع (العين المنتهية بعد حرف منفصل) فالعين ترد بالأشكال الأربعة، في الكلمات الأربع الآتية:

عمل . بعد . طمع . طماع.

فتأسيسا على اقتراح محمود تيمور تكتب الكلمات الأربع كما يأتي:

عمل ـ بـ عد . طمـ عـ . طماعـ.

وبذلك تكون حروف الكتابة بالصورة الآتية:

أ بـ تـ ثـ جـ حـ خـ د ذ ر ز سـ شـ صـ ضـ ط ظ عـ غـ فـ قـ كـ لـ مـ نـ هـ ة و لا يـ.

ويلخص تيمور المزايا التي تتحقق بطريقته هذه فيما يأتي:

١ ـ أنها تنفي شبهة القطع بين القديم والجديد.

٢ ـ أن الحروف ستكون واضحة لا خفاء فيها، فهي غير مركبة بل مبسوطة.

٣ ـ أن علامات الشكل ستقع على الحروف بأعيانها، تأخذها الأنظار باللمح، فلا تترجح العلامات بين الحروف المركبة في الكلمة الواحدة.

---

(١) تيمور السابق ٧٣.

٤ ـ أن اتخاذ صورة واحدة للحروف في جميع مواقعها من الكلمات أولا، ووسطا وآخرا، سيجعل تعليمها أيسر مؤونة.

٥ ـ تخفيف العبء على المطبعة وعمالها بسبب تقليل عدد عيون الصندوق، وسهولة اجتلاب حركات الضبط.

٦ ـ لا خوف من ازدياد استهلاك الورق بسبب هذه الحروف المبسوطة، لأن الكلمات في صورتها الجديدة ستكون ذات أفق أقل انخفاضا من الأفق الذي تقتضيه الكلمات المركبة الحروف، فتزداد السطور في الصحيفة ازديادا يعوضها مما يستلزمه انبساط الحروف من اتساع الخبر(١).

وقد أجاز المجمع مشروع محمود تيمور إلا أنه لم يخرج حتى الآن إلى حيز التنفيذ(٢).

● ● ●

والحقيقة أن هذه الدعوة ـ كما أشرنا من قبل ـ دعوة عملية واقعية نافعة. والأخذ بها كان سيسدي خدمة جليلة للغة العربية، مع الحفاظ على التراث. فالذي يتعلم بالطريقة الجديدة، لن يعجزه قراءة التراث القديم..

ومع تعدد المزايا التي تتسم بها هذه الطريقة فإن الذي يدعو حقا إلى العجب ألا تخرج إلى حيز الواقع حتى الآن.

● ● ●

كان محمود تيمور بهذه الدعوة أو الدعوات صادق النية، صادق الحرص على خدمة اللغة العربية. ولكن ظهرت على الساحة العربية ـ في مصر ولبنان بخاصة ـ دعوات تعتمد على ادعاءات ـ وهي تحمل معاول الهدم لتدمير اللغة العربية وتخريبها كما سنرى في الصفحات التالية.

---

(١) انظر تيمور: السابق ٦٦ ـ ٦٨.

(٢) نفوسة: مرجع سابق ٢٢٢.



الفصل الثالث

ريـــاح الســـمـوم

محاولات الهدم والتخريب

تسترت هذه الدعوات كلها خلف قناع الزعم بتيسير اللغة العربية وتسهيل تعلمها. وأخطر من ذلك دعوة من رمى العربية بالجمود، ودعا إلى خلعها، وزرع العامية مكانها. ونحاول في السطور التالية أن نعرض لأهم هذه الدعوات وموقفنا منها:

(١) الحروف اللاتينية:

في جلسة المجمع اللغوي المصري التي انعقدت يوم ١٩٤٣/٥/٣ تقدم عبدالعزيز باشا فهمي باقتراح دعا فيه إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ولم يكن هذا الاقتراح مستقلا، بل كان مشفوعاً بالدعوة إلى هجر الفصحى، وإحلال العامية مكانها. وكانت كلماته التي صاغ بها مقترحاته تنم عن نقمة عاتية على الفصحى.. لغة القرآن. ولغة التراث العربي من أربعة عشر قرنا، وبلغ به الغلو في الحنق إلى درجة وصف الدعوة إلى تعلم الفصحى بأنها تحمل في ذاتها «محنة حائقة بأهل العربية، وطغيانا وبغيا، لأن في ذلك تكليفا للناس بما فوق طاقتهم[١].

ولم تلق هذه الدعوة قبولا من أحد، وهي تعتبر تجديدا للدعوة التي نفذها مصطفى كمال في تركيا، واستبداله الحروف اللاتينية بحروف اللغة التركية (وهي حروف عربية)، ولكن القياس يأتي مع الفارق الكبير:

١ ـ فالتراث العربي والإسلامي المكتوب بالعربية أغزر وأكثر كمّا من التراث التركي.

٢ ـ وكل تراثنا الأدبي والفقهي والتاريخي والفلسفي مسجل بالعربية بحروفها المعروفة، وهذا يعني قطع الصلة تماما بين الأجيال القادمة وتراث الأمة وتاريخها.

(١) انظر نفوسة: مرجع سبق ١٤٥.

٣ ـ وهذه الحروف هي التي كتب بها القرآن من أول نزوله في حراء. واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية يعني أيضا قطع الصلة بين الأجيال القادمة وقراءة القرآن في الصورة التي نزل بها جبريل على محمد بن عبدالله ـ صلى الله عليه وسلم.

٤ ـ ولو أخذنا بهذه الدعوة فإن تطبيقها ونشرها سيستغرق عشرات من السنين، حتى يمكن إعداد عشرات الألوف من المدرسين والكتاب الذين يكتبون ويعملون على أساسها، وهذه صعوبة عملية يجب أن تكون في الاعتبار.

٥ ـ وفي مواجهة تراثنا الضخم الهائل المكتوب بالحروف العربية لا بد أن يكون لنا منه موقف من اثنين:

أ ـ إما تركه كما هو بحروفه العربية الأصيلة، ومن ثم لن تطّلع عليه الأجيال القادمة التي تقرأ وتكتب بحروف لاتينية، وبذلك تكون هذه الأجيال مقطوعة الصلة بالماضي، مما يفقد الأمة هويتها الأصيلة.

ب ـ وإما أن يترجم هذا التراث إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، وفي هذه الحال ـ كما يقول أحد الكتاب: «إذا أريدت ترجمة واحد في الألف مما كتب بالعربية لاحتيج إلى عشرات الآلاف من أبرع المترجمين. وإلى أموال ترجح ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية»[(١)].

٦ ـ والقول بأن الحروف اللاتينية تيسر الكتابة والنطق في العربية فيه إسراف وتهويل، ومخالفة للواقع، بل العكس هو الصحيح:

أ ـ فالكتابة بالحروف اللاتينية ستشغل حيزا أوسع بكثير من الحيز الذي يشغله المكتوب بالعربية، ومن ثم يستهلك قدرا مضاعفا من الورق. فكلمة محمد التي تتكون من أربعة أحرف ستكون باللاتينية من ثمانية أحرف، وتكتب بهذه

(١) أحمد عبدالغفور عطار: قضايا ومشكلات لغوية،٧٣.

الحروف الجديدة هكذا: Mohammed . وجملة مثل «اتجه محمد إلى بيته» ستكتب بهذه الصورة اللاتينية Ittagaha Mohammed Ila Baitihi.

ب ـ كما أنها ستوقع في اللبس بالنسبة لحروف كالهمزة والعين اللذين يعبر عنهما بحرف واحد هو الـ «A». فكلمة Ahmed يمكن أن تفسر على أنها العلم المعروف أحمد. ويمكن أن تقرأ كذلك أعمد، وهو الفعل المضارع من عمد بلسان المتكلم. وكلمة: Abid يمكن أن تقرأ (عابد) وتقرأ كذلك (آبد)، من (الأبد).

ومما يوقع في اللبس كذلك أن يعبر بالحرف الواحد اللاتيني عن حرفين عربيين مختلفين: فحرف الـ D سيكون مقابلًا للدال ومقابلا للضاد كذلك وكلمة dani يمكن أن تقرأ (داني) بمعنى قريب (من الفعل دنا)، ويمكن أن تقرأ (ضاني) بمعنى لحم الخراف.

ومن التعقيد والتزيّد كذلك، ونظراً لفقر هذه الحروف اللاتينية يُستخدم حرفان لاتينيان مقابل الحروف العربية التي لا تجد لها مقابلاً واحداً في اللاتينية فحرف الغين يكتب GH، وحرف الظاء يكتب DH.

٧ ـ وقد ثبت أن الأبجدية العربية إذا درست بطريقة صحيحة على أيدي أساتذة متمكنين قبلها الأطفال واستساغوها، واستطاعوا أن يستكملوا مسيرتهم الطيبة في طريق تعلم العربية[1]. فالعيب ليس في الحروف العربية ولا في العربية ذاتها، ولكن التخلّف، وهبوط المستويات. يرجع إلى أسباب خارجية تتعلق بمستوى

(١) من ربع قرن تقريبا، وتقليدا للغرب دون مراعاة الفروق بين اللغات طبقت في مصر طريقة الجشتالت في تعليم القراءة والكتابة، وهي الطريقة الكلية أو التحليلية التي تعتمد على تعليم الكلمة والجملة، أولا، ثم تعليم الحرف بعد ذلك. وكانت النتائج سيئة للغاية، مما دفع الدولة إلى الرجوع عنها.

انظر في مفهوم هذه الطريقة ومزاياها وعيوبها: كتاب الموجه الفني لعبدالعليم إبراهيم ٨١ ـ ٨٥).

وانظر بتفصيل أكثر لنظرية التعليم الجشطلتية الفصل الرائع الذي كتبه «مايكل فريتمر» من ص٢٢٩ إلى ص٣١٧ من كتاب «نظريات التعلم» ترجمة الدكتور علي حسين حجاج.

المدرّسين، وطرائق التعليم، والمناهج الدراسية، والأوضاع الاجتماعية في بعض الدول العربية، مما لا يتسع المقام لشرحه.

ولقد تعلم جيلنا القراءة والكتابة بالطريقة الصحيحة على أيدي رجال أفاضل متمكنين من اللغة العربية ابتداءً من الكُتَّاب، ومرورا بالمراحل التعليمية المختلفة، وكانت النتائج طيبة(١).

وقد لاحظت الدكتورة نفوسة سعيد(٢) أن عبدالعزيز فهمي في تهجمه الضاري على الفصحى العربية كان متأثراً بالصليبي (ولكوكس) حتى في كثير من قوالبه التعبيرية، كوصفه الدعوة إلى استعمال العربية الفصحى بأنها استكراه» و«طغيان» و«بغي»(٣).

• • •

(٢) العامية لا الفصحى:

في فترات متقطعة كانت تثار مشكلة الفصحى والعامية، ولكن كان ارتباطها الوثيق بالوجود الاستعماري في وطننا العربي، على أنها ـ في أصلها ـ ظاهرة طبيعية في حياتنا اللغوية، ولكن الاستعمار استغل هذه الظاهرة ليحارب الفصحى بعد أن انحدر مستواها في العصر التركي الذي فرضت فيه اللغة التركية لغة رسمية للدواوين والتعليم. وقد سارت خطة العداء للفصحى في اتجاهين: بدأت حملات

(١) فكنا في الكتّاب نقرأ آيات القرآن الكريم من المصحف، وأذكر ـ وأنا في الصف الثالث الابتدائي في الأربعينات ـ أي من قرابة نصف قرن، كنت أقرأ لأبي ـ وقد كان أميا ـ كل ليلة قرابة ساعة في ألف ليلة وليلة» وسيرة الزير السالم، وحمزة البهلوان وكانت هذه الكتب رديئة الطباعة، وكلماتها غير مضبوطة بالشكل. وكانت جائزتي كل ليلة «تعريفة» أي خمسة مليمات اي ما يساوي حاليا نصف هللة.

(٢) نفوسة: مرجع سبق: ١٤٥.

(٣) نشير في هذا المقام أيضا إلى أن عبدالعزيز فهمي لم يكن أول من دعا إلى استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية، فقد كان رائد هذه الدعوة «ولهلم سبيتا» الصليبي الألماني، وتبناها ـ غير عبدالعزيز فهمي ـ أمثال سلامة موسى وفي لبنان طائفة من المارونيين منهم: أنيس فريحة وسعيد عقل.

مسعورة تكشف من ناحية عمّا زعموه من جمود اللغة العربية وصعوبتها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر. ومن ناحية أخرى بدأت الدعوة للعامية وبيان ما فيها - على زعمهم - من فصاحة وسهولة ومرونة، وقدرة على التعبير عن مطالب الحياة العصرية والقدرة على تثقيف الشعب وتعليم الأميين[١].

ارتفعت الأصوات المنكرة الضارية تدعو إلى إحلال العامية محل الفصحى، وكان أعلى هذه الأصوات وأشدها جرأة ووقاحة صوت وليم ولكوكس[٢] الذي كان يدعو دائما إلى محاربة الفصحى، وإقصائها عن ميدان الكتابة والأدب وإحلال العامية محلها، وقد ضمن دعوته هذه عملين مشهورين له.

الأول: محاضرة له بعنوان (لم لَم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟).

والثاني: رسالة نشرها بالإنجليزية بعنوان:

Syria, Egypt, North Africa, and Malta Speak punic not Arabic.

أي: (سوريا ومصر وشمال إفريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية)

وقد ألقى ولكوكس هذه المحاضرة سنة ١٨٩٣م في نادي الأزبكية[٣]، ودارت هذه المحاضرة حول فكرة أساسية مؤداها: أن سبب عدم وجود الاختراع لدى المصريين «هو استخدام اللغة العربية الفصحى في الكتابة والقراءة، وينصحهم بنبذ هذه اللغة الصعبة الجامدة، واتخاذ العامية أداة للتعبير الأدبي»[٤].

وواضح أن الهدف الحقيقي لولكوكس هو القضاء على العربية الفصحى، وحرمان أبنائها من تراثها في الدين والعلوم والآداب ليسهل على الاحتلال مهمته[٥].

• • •

(١) د. حاتم صالح الضامن: نحو لغة عربية سليمة ٣٢.

(٢) وهو مهندس ري إنجليزي وفد إلى مصر سنة ١٨٨٣ في أول عهد الاحتلال البريطاني لمصر.

(٣) نشرت المحاضرة بعد ذلك بالعربية الركيكة القريبة من العامية، في مجلة الأزهر التي كان يشرف عليها ولكوكس نفسه وأحمد الأزهري.

(٤) نفوسة: مرجع سابق ٣٥.

(٥) نفوسة: مرجع سابق ٣٥.

وفي رسالته السابقة التي نشرها سنة ١٩٢٦، أي بعد محاضرته السابقة بقرابة ثلاثة وثلاثين عاماً. زعم أن اللغة التي يتكلمها الناس من حلب إلى مراكش بما في ذلك مالطة هي اللغة الكنعانية أو الفينيقية أو البونية. وخص مصر بالبونية لأن كلمة Punic تشبه كلمة Fenic التي كان يطلقها قدماء المصريين على الفينيقيين. كما زعم أن اللغة البونية التي هي أساس لغة الحديث عندنا لا صلة لها بالعربية الفصحى، فقد دخلت مصر قبل أن تدخلها العربية الفصحى بألفي سنة، وأنها انحدرت إلينا من الهكسوس الذين أقاموا في مصر نحو خمسمائة سنة، والذين انتشرت لغتهم في أقطار عديدة حول مصر، حتى بلغت مالطة[١].

ويعود فيهاجم العربية الفصحى بضراوة: فهي في رأيه «لغة مصطنعة يتعلمها المصري كلغة أجنبية ثقيلة في كل شيء، وإن وصلت إلى الرأس، فهي لا تصل أبدا إلى القلب. تقف عقبة في سبيل تقدم المصريين. دراستها نوع من السخرة العقلية، حالت بين المصريين وبين الابتكار، قضت على الطلبة النابهين من المصريين الذين كان يرجى منهم كثير. وأدت صعوبة فهمها إلى حدوث بعض الكوارث التي شاهدها أثناء إقامته في مصر. دراستها مضيعة للوقت، وموتها محقق كما ماتت اللاتينية[٢].

ويلح على دعوته بأن تحل العامية محل الفصحى، وأن يعمم التعليم بها في كل المدارس، وحدد مدة هذا التعليم بعشر سنوات، رأى أنها كفيلة بتخليص المصريين من السخرة الثقيلة التي يعانونها من جراء الكتابة بالعربية الفصحى[٣].

(١) نفوسة: السابق ٣٧. وانظر أدلته الواهية ص٣٨.
(٢) السابق ٣٩.
(٣) السابق ٤١.

ولكي يؤكد دعوته بالتمكين للعامية على حساب العربية ترجم من الإنجليزية إلى العامية المصرية نصوصاً من بعض روايات شكسبير[١]، كما ترجم الإنجيل إلى العامية، أو كما يسميها اللغة المصرية العامة[٢].

وألف كذلك بالعامية المصرية سنة ١٩٢٩ كتابا بعنوان (الأكل والإيمان) حاول فيه أن يدخل العامية في نماذج علمية[٣].

• • •

(٣) وسلامة موسى

وقد تبنى دعوة ولكوكس عدد من العرب والمصريين لعل أشهرهم سلامة موسى الذي حمل على العربية الفصحى، ولخص أسباب حملته هذه فيما يأتي:

١ ـ صعوبة تعلم الفصحى.

٢ ـ عجزها عن تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية.

٣ ـ أنها تبعثر وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية. فالمتعمق في الفصحى ـ على حد قوله لا يشرب الروح المصرية، لايدرس تاريخ مصر.

٤ ـ أن رنة ألفاظها العالية كثيراً ما تطوح الكُتّاب بسببها، حتى أصبحت الأسجاع هي كل همهم.

• • •

ويعلن سلامة موسى تأييده المطلق لولكوكس بضرورة هجر العربية وإحلال العامية مكانها. وهو يُسمّي العربية الفصحى: اللغة البدوية، ومن ثم لا تصلح أن تكون لغة ثقافة، لأن الثقافة بنت الحضارة، لا بنت البداوة.

---

(١) انظر السابق ٥٥.

(٢) انظر السابق ٦١.

(٣) انظر السابق ٦٧.

ولكنه يرى أن هذه النقلةمن الفصحى إلى العامية يجب ألا تتم مرة واحدة، بل لا بد أن تمر بمرحلة سمَّاها مرحلة «التسوية بين الفصحى والعامية». وأوجه التسوية ـ في نظره تتمثل فيما يأتي:

(١) إلغاء ما يأتي:

أ ـ الألف والنون من المثنى.

ب ـ الواو والنون من جمع المذكر السالم.

جـ ـ التصغير.

د ـ جمع التكسير، والاكتفاء بالألف والتاء لغير المذكر السالم.

هـ ـ الإعراب. والبديل هو تسكين أواخر الكلمات.

(٢) إيجاد حرف كبير عند ابتداء الجمل.

(٣) عدم ترجمة الألفاظ الأوروبية، والاكتفاء بتعريبها، كأن تقول «بسكليت» ـ لا دراجة[١].

• • •

(٤) تمصير اللغة العربية:

ويدعو لطفي السيد إلى ما سماه بتمصير اللغة العربية، وكتب في ذلك سبع مقالات سنة ١٩١٣، نشرها في صحيفة «الجريدة». وهو لا ينكر الفصحى، ولا يدعو إلى إزاحتها، وإحلال العامية مكانها، ولكن يدعو إلى ما سمّاه بعقد الصلح بين الفصحى والعامية، وخصوصاً تلك التي يتكلمها سكان القاهرة. ومن أهم شروط هذا الصلح أخذ أسماء المستحدثات الأجنبية من اللغة اليومية، مثل الأوتومبيل والبسكليت، والجاكيتة والبنطلون، والجزمة والموضة. فهو ـ على حد قوله ـ يريد

(١) انظر نفوسة: السابق ١١٩ ـ ١٢١.

أن يرفع لغة العامة إلى الاستعمال الكتابي، وينزل بالضروري من لغة الكتابة إلى ميدان التخاطب والتعامل.

والتزاماً بهذه الدعوة ينصح لطفي السيد الكتَّاب والمترجمين ألا يحاولوا إيجاد اسم للتلغراف ولا للتليفون، ولا للفنوجراف «لأن من يحاول ذلك يجب عليه - من باب أولى - ألا يسمى الورد ورداً، بل يسميه حوجماً لأن الورد له اسم في العربية. والله يعلم والناس جميعا يعلمون أن التلغراف والتليفون والفونجراف لم يكن لها أسماء في البصرة، ولا في الكوفة، فهجرنا نحن تلك الأسماء لنأخذ أسماء أعجمية».

ويمجد لطفي السيد العوام والعامية، فيرى أن العوام يملكون بالوراثة سر اللغة، ويصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألوفاً. وكثير من أساليبهم حسن جميل. والعامية - على حد قوله - قد اشتد ساعدها، وأصبحت منافسا قويا للغة الفصحى: فهي لغة المحادثة بين الخاصة والعامة، وتكاد تكون لغة المرافعات في المحاكم، وهي اللغة المفضلة للمسرح عند الخواص في عمومهم والعوام[١].

• • •

ولنا على هذه الدعوة ملاحظات ومآخذ تتلخص فيما يأتي:

(١) أنها دعوة فيها من الحماسة الوطنية أكثر مما فيها من الحرص الواقعي على مصلحة اللغة العربية، في وقت كان لطفي السيد يتبنى فيه الدعوة إلى تمصير كل شيء. وهو يرفع شعاره المشهور (مصر للمصريين)[٢].

(١) انظر في تفصيل هذه الدعوة: نفوسة: السابق ١٢٤ - ١٣٦.

(٢) امتدت هذه الدعوة فيما بعد إلى الأدب فاصدر أمين الخولي كتابه (إلى الأدب المصري). وفيه يدعو إلى الأدب المصري (المكتوب بالعربية الفصحى) وتبنيه ودراسته وتدريسه في المدارس والجامعات بحيث لا يزاحمه أدب عربي آخر.

وهي دعوة وطنية إقليمية ضيقة سرعان ما ماتت في مهدها، وقد تكفل عدد من النقاد بتفنيدها وخصوصا الدكتور شكري فيصل في كتابه (مناهج الدراسة الأدبية) من ص ١٥٧ - ٢٢٠.

(٢) تمجيده للعوام، ووصفهم «بأنهم يملكون بالوراثة سر العربية يصرفون البيان فيها تصريفا حيا مألوفا»، هذا الحكم فيه تهويل وإسراف لا يتفق مع الواقع. فإذا كان هذا هو حظ العوام، فما حظ علماء اللغة المتخصصين إذن؟

(٣) سخر لطفي السيد من الأسماء العربية التي وضعت للمخترعات الحديثة، وحكم عليها بالعجز وقصر العمر مثل: سيارة ودراجة وهاتف. وهي سخرية في غير محلها؛ لأن الأسماء التي استشهد بها أزاحت فعلا مقابلها الأجنبي. وإن كان هناك نوع من القصور في هذا الجانب بالذات سنعرض له في حينه.

(٤) الفصحى ليست جامدة كما يعتقد، فهي تهمة في غير محلها، كما سنرى.

(٥) إذا كان لطفي السيد يريد التسهيل والتيسير حقا، فإن الأخذ بالاستعمال العامي للمصطلحات الجديدة أصعب كتابة ونطقا من الترجمة العربية أو الأسماء المعربة: فالسيارة أسهل من الأوتوموبيل. والهاتف أيسر من التليفون، والدراجة أسهل من البسكليت.

(٦) الأخذ بلهجة أهل القاهرة في هذه الاستخدامات لا يحل المشكلة، لأن الصعوبة ستظل قائمة بالنسبة لسكان غير القاهرة، وخصوصاً سكان الصعيد، والمناطق الجنوبية منه بصفة خاصة.

(٧) والطابع العام لهذه الدعوة هو أنها غائمة المضمون، غامضة الأبعاد وهي في صورتها العامة ضد طبيعة الأشياء. فلا عجب أن تسقط بلا نَفَسٍ وبلا حَراك.

● ● ●

وكما سقطت الدعوة إلى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية سقطت الدعوة إلى إحلال العامية محل الفصحى للآتي:

(١) لأنها قامت على أكذوبة ينقضها الواقع، وهي أن العامية أسهل نطقاً وكتابة من الفصحى، والعكس هو الصحيح، ونسوق هنا بعض الأمثلة التي تؤيد ذلك، مع أن المسألة ليست في حاجة إلى تأييد وتدليل:

النساء : أسهل نطقاً وكتابة من : الستّات.

مباشرة : أسهل نطقاً وكتابة من : على طول. أو طوّالي.

ما رأيت : أسهل نطقاً وكتابة من : ما شفتش.

لا يهمك : أسهل نطقاً وكتابة من : مَيْهِمَّكْش.

وأنا على يقين أن دعاة إحلال العامية محل الفصحى يعلمون هذه الحقيقة، ولكنهم يغالطون، بدليل أنهم يعرضون دعوتهم ويعبرون عنها بالعربية الفصحى. وولكوكس الذي أراد أن يثبت جدارة العامية بالحلول محل الفصحى فترجم الإنجيل إلى العامية، وكذلك نصوصاً من شكسبير.. لم يستطع - على عجمته - أن يجعل أسلوبه بالعامية الخالصة، بل فرضت الفصحى عليه نفسها في جوانب كثيرة مما ترجم.

(٢) وهذه الدعوة تجرنا إلى مشكلة عملية مستعصية تتمثل في السؤال التالي: بأي العاميات نأخذ؟ إن عدد العاميات في شعوب الأمة العربية يبلغ المئات، وهو في الوطن الواحد قد يبلغ العشرات. وقد رأينا لهجتين مختلفتين في مدينة واحدة بشمال مصر.

وحتى في حالة الاتفاق بل الإجماع العربي على عامية واحدة، ولتكن عامية القاهرة، سيكون هناك - ولا شك - عقبات عاتية - في التنفيذ. إذ لو سارت الأمور طبيعية فإننا سنحتاج إلى عشرات من السنين - لا لنشرها - بل لإعداد المعلمين الذين سيقومون بتدريس هذه اللهجة، وعشرات أخرى لنشر هذه اللغة الجديدة. ولا شك أن السياسة سيكون لها الدور الأكبر في استكمال المسيرة أو نقض الاتفاق الاجماعي، والاحتمال الأخير أقوى بكثير جداً.

(٣) وتراثنا الفقهي والأدبي والفلسفي الهائل.. هل سيترجم إلى هذه العامية؟ وما قدر الجهود والميزانيات التي ستهدر في مثل هذا العمل؟ أم سيترك هذا التراث كما هو، ويحول إلى المتاحف، وبذلك نعزل الأجيال القادمة عن ماضيها العلمي الجليل؟

(٤) وهذه الدعوة اعتمدت على أكذوبة أخرى، وهي أن الأمة العربية هي الأمة الوحيدة التي نجد فيها ظاهرة «الازدواجية اللغوية»، أي تنفرد ـ دون بلاد العالم ـ بأن لها لغتين: لغة حديث وتعامل هي العامية، ولغة كتابة وهي العربية الفصحى، والمصلحة ـ كما يزعم هؤلاء ـ أن تحل الأولى محل الثانية ـ كلغة وحيدة للحديث والتعامل والكتابة.

والواقع ينقض هذه الأكذوبة، فظاهرة الازدواجية اللغوية موجودة في كل دول العالم: فالناس في النوادي والشوارع والأسواق يتحدثون لغة غير لغة الكتابة والخطابة والمحاضرات، يستوي في ذلك الدول المتقدمة في أوروبا وأمريكا ودول العالم الثالث[١]. يقول الأستاذ عباس حافظ ـ وهو أحد كبار المترجمين العالميين من الإنجليزية إلى العربية في مقال نشر له بمجلة الإذاعة المصرية سنة ١٩٥١: «إن أرقى شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام، ومن يظن أن الإنجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطئ الخطأ كله. فإن لهؤلاء أيضا لغة كلامية، أو كلاما دارجا، أو طريقة سخيفة في التعبير لا تستقيم إذا كتبت، ولا تكفي للتأدية بها، ولا تصلح للإنشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب في الأدب الرفيع»[٢].

(٥) وأصحاب هذه الدعوة لا يفكرون في مستقبل عربي موحد، إن الخضوع للّهجات يعني تقنينها، وتقنينها يعني سيطرتها، وسيطرتها تعني فقدان أكبر عنصر من عناصر المستقبل العربي السليم، فاللغة الواحدة هي كل ما أبقت لنا الأيام من

---

(١) وقد لمست ذلك بنفسي خلال خمس سنوات قضيتها في باكستان، وسنة قضيتها بالولايات المتحدة في مدينة «نيوهافن» بولاية كنكتكت. ومن الظواهر الصوتية في عامية هذه المدينة حذف حرف «t» من الكلام إذا كان متوسطا فكلمة (ووتر) water تنطق (وَرَز) warer. وكلمة (بتر) better تنطق (بَرَز) berer. وكلمة (فورتي) forty ينطقونها (فُورِي) fory. وغير ذلك كثير. مع اختلاف واضح بين عاميات الشمال وعاميات الجنوب. والفوارق أوضح بين لهجات الزنوج ولهجات البيض في الولايات المتحدة.

(٢) انظر: أحمد العطار: قضايا ومشكلات لغوية ٥٨.

وشائج القربى، ومن الثروة المعنوية، والأخذ بهذه اللهجات يعني أننا نسعى بذاتنا لتخريب ذاتنا: ذاتنا الماضية، وذاتنا المستقبلة[1].

(٦) ومن عجب أن المستشرقين الذين دعوا في حرارة وحماسة إلى إحلال العامية محل العربية الفصحى في بلادنا، لم يرفعوا صوتهم بمثل هذه الدعوة في بلادهم، وقد رأينا ظاهرة الازدواجية اللغوية في هذه البلاد أيضا. بل ترى على العكس من ذلك: ارتفاع أصوات بضرورة توحيد الناس على الفصحى، والقضاء على لهجاتهم العامية «فالجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام ١٧٩٤م إلى الأب غريفوار بأن يضع تقريرا يبين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية، ولتشجيع الفصحى في فرنسا»[٢]

فهم يحللون لأنفسهم ما يحرمونه علينا، ويحرمون على أنفسهم ما يحللونه لنا، بل ما يجندون كل قواهم لحملنا عليه، وأخذ أنفسنا به[٣].

• • •

(٥) القضاء على النحو:

وكان للنحو نصيبه من الحملات الضارية: فهناك من دعا إلى إلغاء الإعراب بتسكين أواخر الكلمات.

وهناك من دعا إلى حذف بعض قواعد النحو أو تعديلها على غير الطريق الذي نهجته قديماً: كحذف موانع الصرف، وجعل العدد من جنس المعدود، وإبقاء المفعول به منصوباً في حالة بناء الفعل للمجهول، والاكتفاء بقلب الفعل. فنكتب (قُتِل عليًّا) بدلا من قُتِل عليٌّ)... إلخ

(١) شكري فيصل : قضايا اللغة العربية المعاصرة ٤٠.

(٢) د. غازي طليمات: ومضـــات وشبهات في دراسة المستشرقين اللغوية «٢٣» دراسة في مجلة القافلة عدد المحرم ١٤١٥.

(٣) انظر : نفوسة: مرجع سابق ٢٠١ ـ ٢٠٢.

فإذا ما قلنا إن تنفيذ ذلك سيترتب عليه تعذر قراءة القرآن، وتدبر معانيه جاء الجواب غريبا عجبا في اقتراح جديد بأن «تكون لنا قواعدنا، وللقرآن قواعده التي ستكون معرفتها وقفاً على المختصين في الدين وطلاب الدراسات العليا. وجهلنا بهذه القواعد لن يضير إسلامنا، لأن هناك مسلمين لا يعرفون اللغة العربية، ولا يعرفون قواعدها، وهم رغم ذلك مسلمون لا شك في إسلامهم، يتلقون أحكام القرآن من أساتذتهم وفقهائهم»[1].

وهي دعوة تدميرية خطيرة، ولكنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تثبت أمام النقد الحصيف:

١ ـ لأنها تعني التضحية بالقرآن نفسه.. إذ تُباعد بيننا وبين القرآن، وتحرمنا معرفة لغته، والقواعد التي عليها. وفرق بين قراءتنا للقرآن بأنفسنا، وتدبرنا معانيه، وتجاوبنا معها، وبين التجائنا إلى فقهائنا لتوضيح ما التبس علينا فهمه ومعرفته.

٢ ـ معروف أن القواعد هي قوانين تأليف الكلام. وتأليف الكلام في كل لغة يجري على نظام خاص بها، لا تكون العبارات مفهومة ولا مصورة لما يراد حتى تجري عليه، ولا تزيغ عنه.

٣ ـ في قواعد أرقى اللغات الأوروبية صعوبات وشواذ لا تقل عما يعددونه من صعوبات في قواعد اللغة العربية[2].

٤ ـ وإذا بحثنا مصدر الشكوى من صعوبة قواعد اللغة العربية وعسر تعلمها وجدنا أنها ترجع ـ في حقيقة الأمر ـ إلى بعض المستشرقين الذين حاولوا تعلم اللغة

---

(١) نفوسة: مرجع سابق ٢٠٣.

وصاحب هذه الدعوة اسمه حسن الشريف في مقال له بعنوان «تبسيط قواعد اللغة العربية» نشره في الهلال في عدد أغسطس ١٩٣٨.

(٢) ومن ذلك تصريف الأفعال في اللغة الفرنسية مثل: aller, avoir.

العربية، وهي شديدة البعد عن لغتهم الأوروبية في بناء الكلمات، ونظام التأليف، وعادات النطق، وإلى المستعمرين الذين أرادوا أن يتخذوا من صعوبة قواعد اللغة العربية مبرراً للعدول عنها إلى العامية، حتى يقضوا بذلك على أهم مقومات الوحدة العربية والوحدة الإسلامية(١).

٥ ـ وقد ترجع صعوبة النحو ـ كما يقول أستاذنا عبدالعليم إبراهيم ـ إلى أمور تتعلق بمنهج الدراسة، والكتب المقررة، ومستوى المدرسين وأساليب الامتحانات، والجهل بالغرض من القواعد، والمبالغة في فهم منزلتها(٢). مع أنها وضعت أصلا وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق والكتابة، وليست غاية مقصودة لذاتها(٣).

٦ ـ والقول بترك الإعراب، وتسكين أواخر الكلمات لا يلغي الإعراب، لأن الإعراب في الفصحى ليس مقصورا على أواخر الكلمات، لأنه داخل في بنيتها، وبتغيره تتغير معاني الكلمات، مع تماثل حروفها. فالحركة الداخلية تفرق بين اسم الفاعل والمفعول من غير الثلاثي مثل: محترِم ومحترَم. وبين الفعل المبني للمعلوم، والفعل المبني للمجهول. مثل كَتَب، كُتِب. وتفرق بين المصدر والفعل. مثل: عِلْم، وعَلِم.

كما أن الضبط هو الذي يحدد نوع الأسلوب. وعلى سبيل التمثيل نسوق الجملة الآتية:

(ما أجمل الربيع)

إنها ـ وهي غفل من الضبط ـ تحتمل المعاني الآتية:

أ ـ التعجب: لو وضعت فتحة على الكلمتين بعد ما.

---

(١) انظر نفوسة: مرجع سابق ٢٠٣ ـ ٢٠٦.

(٢) عبدالعليم إبراهيم: الموجه الفني ٢٠٥.

(٣) السابق ٢٠٣.

ب ـ النفي: ببناء أجمل على الفتح، ورفع الربيع على الفاعلية ويكون المعنى أن الربيع لم يُبدِ لنا جمالاً.

جـ ـ الاستفهام: برفع: أجمل، والربيع مجرور بالإضافة.

ويكون معنى الاستفهام: أيُّ أيام الربيع أجمل؟

ولو أخذنا أنفسنا بتسكين أواخر الكلمات لأدى ذلك إلى تدمير تراثنا الشعري كله، ولما استقام لنا شعر بعد ذلك، وذلك لانهيار الوزن الذي يعتمد على التفعيلة، وهي تعتمد على المتحرك والساكن، وعلى سبيل التمثيل سنحاول قراءة بين شوقي آخذين أنفسنا بالاقتراح السابق. إن صورته الجديدة هي:

بالعلـم والمالْ يبنـى النـاسْ ملكهـمْ   لـم يبْن ملـكْ على جـهـلْ واقـلالْ

لقد أصبح الشعر نثرا طريقة إلقائه تثير الضحك بل الغثيان.

• • •

وتيسير النحو لا يكون بمثل هذه المقترحات التي تهدمه، بل تهدم الفصحى ذاتها، ولكن علينا أن نفرّق في هذا المقام بين النحو كوسيلة، والنحو كغاية:

ففي الحالة الأولى: يطلب النحو لتصحيح النطق والكتابة. وتيسيره يكون باتباع الآتي:

أ ـ التركيز على القواعد الوظيفية، أي التي يكون استخدامها مطّرداً ونافعاً لتقويم الأسلوب وتصحيحه.

ب ـ الاكتفاء بالوجه الإعرابي الواحد فيما له أكثر من وجه.. كإعراب ما بعد سوى وعدا وخلا وحاشا. وكذلك إعراب ما بعد لا سيما.

جـ ـ تجنب الخلافات النحوية بين مدارس النحو المختلفة.

د ـ الإفادة من المناهج الحديثة في تدريس النحو، كطريقة «قوائم المتماثلات» في اللغة الفرنسية(١).

ويمكن استخدام هذه الطريقة في تدريس المصادر واشتقاقها من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي، وكذلك في تدريس المشتقات، وخصوصا المعتل الوسط مثل: مصون، ومبيع، والمعتل الآخر مثل: مَرجُوّ، ومشْريّ.

فتصنيف هذه المشتقات في قوائم سيقدم المثال الذي يقاس عليه، وذلك ـ في مثل الحالات السابقة أسهل من التعرف على القاعدة وحفظ تفصيلاتها.

هذا عن النحو يُدرَّس كوسيلة لتصحيح النطق والكتابة، وهي المهمة الأساسية للنحو. أما النحو كغاية مقصودة لذاتها فهو مطلب العلماء والدارسين المتخصصين الذين يُعِدّون بحوثاً وأطروحات جامعية. ولا قيد على هؤلاء في علوم النحو بكل مدارسه وخلافاته وتضارباته، لأن مثل هذه المباحث إنما هي للخاصة لا لعموم المتعلمين(٢).

• • •

(١) وهي الطريقة المستخدمة في تصريف الأفعال الشاذة في الفرنسية ـ وما أكثرها ـ مثل: Etre, Vior, Avior, Aller.

فيجعل فعل من هذه الأفعال مع تصريفاته مع الضمائر المختلفة، على رأس القائمة، وتندرج تحته الأفعال التي تماثله في التصريف، وقد رأينا ما يشابه ذلك في كتاب أستاذنا عبدالعليم إبراهيم: (النحو الوظيفي).

(٢) عرض أستاذتنا الدكتور شوقي ضيف المحاولات الصادقة لتيسير النحو قديما وحديثا: ابتداء من الكسائي في القرن الثاني الهجري مرورا بابن مضاء الأندلسي وغيره. وفي العصر الحديث عرض لمحاولات إبراهيم مصطفى بكتابة «إحياء النحو» الذي نشره في يناير ١٩٣٧. ومقترحات لجنة وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٣٨. وقرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية في مصر سنة ١٩٤٥. وقدم الدكتور ضيف محاولة أحدث من المحاولات السابقة وضعت على أسس ستة هي:

١ ـ تنسيق النحو تنسيقا جديدا بحيث تلغى طائفة من أبوابه الفرعية مع رد أمثلتها إلى أبوابها الأصلية.

٢ ـ إلغاء الإعراب التقديري والمحلي.

٣ ـ ألا يشغل الناشئة بإعراب كلمة لا يفيدها إعرابها لها أي فائدة في صحة النطق بها.

٤ ـ وضع تعريفات وضوابط جديدة لبعض أبواب النحو التي يعسر على الناشئة فهمها فهما سليما.

٥ ـ حذف زوائد كثيرة في الأبواب لا تمس إليها حاجة.

٦ ـ إضافات جديدة فيها ضرورة لتمثل الصياغة العربية تمثيلا دقيقا.

(انظر تفصيلات كل ذلك في محاضرته القيمة (تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا) منشورة في كتاب أصدره مجمع اللغة العربية الأردني ٤١-٦٧).

كانت هذه هي أهم الدعوات التي رفعت سيوفها في وجه اللغة العربية هادفة إلى القضاء على لغة القرآن، ولكنها - بحمد الله، مع كثرة الجراح التي أصابتها - ما زالت ترفع رأسها، بقدرة الله، ففيها من عوامل البقاء ما هو أقوى بكثير جدا من أسلحة العدوان والإفناء.

والذين يأخذون على اللغة العربية صعوبة فهمها ودراستها، وجمودها وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة - كما يزعمون - أقول: هؤلاء مخطئون أو مغالطون، لأن مثل هذه التهمة أو هذه الاتهامات يجب ألا توجه للغة العربية، بل توجه إلى فئتين من الناس: الدراسين أنفسهم الذين لا يتجشمون العناء، ولا يبذلون الجهد الشاق المطلوب لخوض مثل هذه الدراسة، كما توجه كذلك إلى المقصّرين من علماء العربية وخبرائها، فهم مطالبون بأن يمنحوا اللغة العربية من الجهود ما يذلل صعوبتها، وما يجعلها دائما تنطلق في حيوية وقوة وقدرة.

وهناك ملحظ لم يتنبه إليه كثيرون وهو أن اللغة - أية لغة - مثل عملة الدولة: تروج وتنتشر، ويطلبها الآخرون بقدر ما لأهلها من استقرار سياسي، وتقدم تقني واقتصادي. فاللغة الصينية مثلا؛ «كانت قبل ثورة ١٩٤٩ في الصين لغة متخلفة، وها نحن نجدها الآن، وقد تحولت إلى لغة حية يستخدمها الصينيون في التعلم والبحث العلمي، والشيء نفسه يقال بالنسبة للغة اليابانية»[١].

• • •

وما كانت دعوات الهدم والتخريب لتسقط مقهورة تحت قدمَيْ اللغة العربية إلا لأن الله منحها من الفرائد والخصائص الذاتية ما يضمن لها الحياة والخلود، وما يُعدّ ردا عمليا واقعيا على كل ما رُمِيَت به اللغة العربية من عيوب ونقائص، وفي الفصل التالي، وفي إيجاز شديد، سنقدم بعض الخصائص التي اتسمت بها العربية، وهي تنقض ما رميت به العربية من تهم التحجر والجمود والنقص والتخلف.

(١) د. سعيد إسماعيل علي : الفكر التربوي العربي الحديث ١٦٤.



الفصل الرابع

القـــوة الذاتيـــــة وعــوامــل البقـــاء

العربية وتقنيات العصر

إن الحديث عن اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني في الوطن العربي يحمل في طياته السؤال التالي: هل تصلح اللغة العربية التي كانت وعاء لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي، أن تكون وعاء لحضارة أخرى هي الحضارة المعاصرة التي تتميز بالتقدم العلمي والتقاني؟

وبعبارة أخرى: هل تستطيع اللغة العربية أن تعبر عن معانٍ ومفاهيم وأعيان ومستحدثات لم يبتكرها أو يضعها أهلها العرب أم أنها عاجزة عن ذلك، وعليها بالتالي أن تنحسر وتتراجع لتترك للغة أخرى أن تكون لغة العلم والتقانة في الوطن العربي؟[1].

وقبل الإجابة على هذا السؤال أرى لزاما أن نبرز عددا من الحقائق التي ستمكننا من الوصول إلى الإجابة السديدة:

والحقيقة الأولى: أن اللغة العربية عاشت عصوراً من القوة والرقي كانت مواكبة للتقدم العلمي والاجتماعي وخصوصا في الأندلس، لذلك أخذت أوروبا كثيرا من ألفاظ العلوم والتجارة والبحارة والتعامل الاجتماعي عن العرب. تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: «إن في لغتنا كلمات عربية عديدة، وإننا لندين، ـ والتاريخ شاهد على ذلك ـ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب، وكم أخذنا عنهم من حاجات وأشياء زينت حياتنا بزخرفة محببة إلى النفوس، وألقت أضواء باهرة جميلة على عالمنا الرتيب[2].

(١) شحادة الخوري: «اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني في الوطن العربي» ص٢٩ (من دراسته المنشورة في مجلة التعريب). ويلاحظ أن الكاتب يستخدم كلمة التقانة محل كلمة التقنية وهي الأشهر.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب ٢٠، وانظر في الكتاب بعض الأسماء العربية التي اقترضتها أوروبا ص١٧-١٩. وانظر جدولا كاملا (٥٥٢-٥٥٩) يضم الكلمات الألمانية المأخوذة عن العربية والفارسية، وكلها تتعلق بالعلوم التجريبية والإنسانية والمأكولات وأدوات المعيشة.

وارجع كذلك إلى الفصل القيم الذي عقده الدكتور علي حسني الخربوطلي بعنوان «الحضارة العربية أساس الحضارة الأوروبية» من ص١٠٦ إلى ص١٣٤ من كتاب: (العرب في أوروبا).

والحقيقة الثانية: أن هناك آلافاً بل عشرات الآلاف من المخترعات الأجنبية، وقطعها وأجزائها التي تتركب منها، ولم تجد لها حتى الآن البديل العربي أو البديل المعرّب، وظل تعاملنا معها بأسمائها في لغتها، ولكن ذلك ليس عيبا في اللغة العربية، ولكنه جاء نتيجة التخلف التقني للشعوب العربية والإسلامية، فمن حق المخترعين أن يطلقوا التسميات التي يرونها لمخترعاتهم، وما على المنتفعين بهذه المخترعات إلا أن يأخذوا المسمى باسمه. هذا هو الأصل إلا إذا قدروا على طرح البديل اللغوي، أو البديل التعريبي الذي ينشئ توفيقاً بنيويا بين الاسم الأجنبي والشكل أو الوزن العربي، وإلا فليس هناك إلا اقتباس المصطلح الأجنبي الأصلي[١]. والمعروف «أن المفردات التي تقتبسها لغة ما عن غيرها من اللغات يتصل معظمها بأمور قد اختص بها أهل تلك اللغات أو برزوا فيها، أو امتازوا بإنتاجها أو كثرة استخدامها، وأخذها منهم، أو اعتمد عليهم فيها أهل هذه اللغة[٢].

ومعظم ما انتقل إلى العربية من المفردات الفارسية واليونانية يتصل بنواحٍ مادية أو فكرية امتاز بها الفرس واليونان.. ويتألف معظم المفردات التي أخذتها الإنجليزية عن النورماندية من كلمات دالة على معانٍ كلية وألفاظ تتصل بشؤون المائدة والطهو والطعام، وذلك لأن النورمانديين كانوا يفوقون الإنجليز كثيراً في هاتين الناحيتين اللتين تمثل إحداهما مظهراً راقياً من مظاهر التفكير العام، وتمثل ثانيتهما ناحية من نواحي الترف الاجتماعي[٣].

---

(١) التعريب يعني نقل اللفظ الأجنبي إلى العربية مع المحافظة على أصله ما أمكن ويؤخذ فيه بأقرب نطق إلى العربية (مدكور: في اللغة والأدب ٩٨) ويحدث في الكلمة بعض التغييرات الشكلية لتوافق النطق أو الوزن العربي.

(انظر عبدالصبور شاهين: العربية لغة العلوم والتقنية ٣١٤. وهو يطلق كلمة (التدخيل) مقابلة للتعريب وتعني إدخال الكلمة الأجنبية في اللغة العربية دون أي تغيير (ص٣٣٥). وانظر: باب: معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي من ص٥٤ إلى ص٥٨ من كتاب (المعرّب) للجواليقي.

(٢) د. علي عبدالواحد وافي: اللغة والمجتمع ٢٢،

(٣) وافي : السابق ٢٣.

والحقيقة الثالثة: أن اللغة العربية - على مدى العصور، وابتداء من القرن الثاني بخاصة - لم تعش بمعزل عن اللغات الأخرى، بل عاشت في حالة «تفاعل» دائم أخذاً وعطاءً، وخصوصا بالنسبة للمستجدات والمخترعات، فقد كانت غالبا تنقل بأسمائها، أو ينال هذه الأسماء شيء من التغيير تبعا لمواضعات اللغة الناقلة. فقدرة اللغة العربية على الوضع والتدخيل والتعريب محسومة تاريخيا، والمقام لا يتسع لتفصيل هذه الحقيقة(١).

والحقيقة الأخيرة: أن المجامع اللغوية العربية تبذل مجهودات طيبة في التعامل مع المصطلحات الأجنبية تدخيلاً أو تعريباً.. ولكن انتشار هذه الأعمال لم يكن على مستوى الجهود المبذولة مما سنعرض له في الفصل الأخير.

• • •

ثم نعود إلى السؤال الأصلي الذي أطلقه أحد المفكرين وهو: «هل تصلح اللغة العربية التي كانت وعاء لحضارة زاهية خلال قرون عدة في الماضي، أن تكون وعاء لحضارة أخرى كالحضارة المعاصرة؟

والواقع أن السؤال يحمل في طياته الجواب، أو بتعبير أدق جوهر الجواب وهو أن اللغة التي كانت وعاء لحضارة زاهية في الماضي لن يعجزها أن تستجيب لمواضعات الحضارة المعاصرة، لما في هذه اللغة من مرونة واتساع وتعدد الوسائل، والقابلية للنمو «وقد عقد القدماء من علماء العربية فصولا مستفيضة في كتبهم لبحث عدة مسائل من اللغة، تدور كلها حول ظاهرة واحدة هي نمو اللغة في ألفاظها وأساليبها، ووسائل هذا النمو»(٢)

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أن هذه الطرائق - وإن لم يربط القدماء بينها - تمثل طرائق مثلى لنمو اللغة، وأنها هي التي «أمدتنا بفيض زاخر من الألفاظ

---

(١) انظر: د. كارم السيد غنيم: اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة: ١٠ ـ ٢٤.

(٢) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ٦.

والأساليب، وجعلت من لغتنا العربية أغزر اللغات السامية مادة، وأكثرها تنوعاً في الأساليب، وأدقها في القواعد»[(١)].

فمن هذه الوسائل التي فصل الدكتور أنيس القول فيها:

١ ـ القياس. ٢ ـ الاشتقاق ٣ ـ النحت

٤ ـ الارتجال ٥ ـ الاقتراض

* * *

١ ـ القياس: هو استنباط مجهول من معلوم، فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة على نسق صيغة مألوفة من مادة أخرى سُمّي عمله قياساً. فالقياس اللغوي هو مقارنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللغوي، وحرصا على اطّراد الظواهر اللغوية[(٢)].

٢ ـ الاشتقاق: هو انتزاع كلمة من كلمة أخرى، على أن يكون بينهما تناسب في اللفظ والمعنى[(٣)]. ويعتبر الاشتقاق من أهم الروافد التي تمد اللغة العربية بما تريد من ألفاظ عن طريق هذا التوليد من (المادة الواحدة) «ومن أجل هذا توصف اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، لأنها تتوصل إلى كلماتها عن طريق استخدام المادة بجميع صور الاستخدام»[(٤)]

٣ ـ النحت: وهو استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر. فإذا كان الاشتقاق في أغلب صوره عملية إطالة لبنية كلمات، فإن النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات[(٥)]. وأمثلته القديمة في اللغة أكثر من أن تحصى مثل: بسمل. وحيعل

---

(١) السابق: الصفحة نفسها.

(٢) أنيس: السابق ٨. وانظر التفصيل ٨ ـ ٦١.

(٣) شحادة الخوري: مرجع سابق ٣٧. وانظر شاهين مرجع سابق ٢٦٠.

(٤) شاهين: السابق ٢٦٤. وانظر أنيس: السابق ٦٢ ـ ٦٨.

(٥) أنيس: السابق ٨٦.

ـ واسترجع (أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون) وبأبأ: أي قال له: بأبي أنت وأمي. وحوقل (أي قال لا حول ولا قوة إلا بالله. ويقولون كذلك. عبدري (أي من بني عبدالدار)، وعبشمي (أي من بني عبد شمس).

وتكثر صوره الحديثة حالياً: مثل: درعمي (تخرج في كلية دار العلوم) وكلغوي (أي ينتسب إلى كلية اللغة العربية) وهو يشبه الاختزال إلى حد كبير.. ويتفق مع الاتجاهات العالمية الحديثة في اختصار الكلمات والجمل[١]. فنجد مثل ذلك، في الإطلاقات السياسية والاجتماعية في المؤسسات الدولية والعالمية مثل (اليونسكو) و(الجات) و(الفيفا) و(الفيتو) أي حق إيقاف القرارات.

٤ ـ الارتجال: مفهوم الارتجال في كتب القدماء من اللغويين مضطرب، فهم يطلقون الارتجال أحياناً، ولا يقصدون به إلا الاشتقاق الذي يولد لنا صيغة جديدة من مادة معروفة، ولكن يستشف من كلامهم أيضاً أنهم كانوا ـ في غالب الأحيان ـ يعنون بالارتجال الاختراع، كأن ينطق المتكلم بكلمة جديدة في معناها أو جديدة في صورتها، فلا تَمُتّ لمواد اللغة بصلة، أو لا تناظر صيغة من صيغها[٢].

والارتجال بهذا المفهوم الأخير ممكن، وخصوصاً إذا جاء من الكبار، وهو لا يحتاج إلى قدر كبير من الثقافة، بل في مكنة كل منا أن يرتجل متى شاء، وأنىّ شاء، وأن يعطي الكلمة ما يريد من المعنى، وهي لا تقل حينئذٍ عما نسبه القدماء من اللغويين للأعراب[٣].

(١) انظر: أنيس: السابق ٨٦ ـ ٩٤.
(٢) أنيس: السابق ٩٥.
(٣) أنيس: السابق ١٠٥.

وقد تلجأ بعض الطوائف الخاصة من أصحاب الصناعات والحرف إلى اختراع كلمات لا يعرفها غيرهم، رغبة في التعمية والتمويه على من ليس منهم[١].

ويرى الدكتور أنيس أن الارتجال في اللغة حقيقة واقعة، ولكنه محدود الأثر، ولذلك يرى معظم الباحثين من المحدثين أن الارتجال أتفه طرق الوضع اللغوي[٢].

٥ ـ الاقتراض: وهو يعني أخذ كلمات أو جمل من لغات الآخرين، وقد يقوم به الأفراد أو الجماعات والهيئات العلمية كالمجامع اللغوية وأمثالها. واقتراض الألفاظ في أغلب حالاته وليد الحاجة حينا، أو الإعجاب حينا آخر. وقد بلغ من إعجاب الفرس والترك بلغة العرب أن اقتبسوا معظم كلماتهم من اللغة العربية، ذلك لأن هاتين الأمتين ظلتا تحت تأثير الثقافة العربية عدة قرون[٣].

والاقتراض بهذا المفهوم يشمل ما سماه الدكتور شاهين بالتدخيل، كما يشمل التعريب. وهو بذلك يعد من أوسع الأبواب لتنمية اللغة[٤].

• • •

ويضيف عبدالصبور شاهين إلى هذه الروافد ما سمّاه «بالإلصاق»، ويقصد به أن يضاف إلى أساس الكلمة زائدة في صدرها تسمى سابقة (Prefixe)، أو في عَجُزِها تسمى لاحقة (Suffixe) ، أو في وسطها، وتسمى حشواً (Infixe)[٥].

• • •

---

(١) أنيس: السابق ١٠٦.

ومن الارتجال الذي سمعته بنفسي إطلاقات العامة على (الجنيه) وهي بالترتيب التاريخي: المحبوب ـ اللحلوح ـ الأهيف. وهم حاليا يطلقون كلمات: الأستك والباكو والأرنب: على المبالغ الآتية بالترتيب: مائة الجنيه. ألف الجنيه. المليون. ومن الارتجالات الخاصة بالجزارين: العضوان (للحم) ـ الكوكل (للعظم). الجرية (للكبد). وأذكر ـ من صغري: أن تجار المنسوجات الحريرية في المنزلة كانوا يستعملون الكلمات الآتية إذا طلب أحدهم من آخر السكوت وعدم التدخل: خذ الخيط. اسماعيل ـ دكْ العتمة. وأحدث ما سمعت. إطلاق كلمة «شلن» على الخمسين جنيها، وكلمة «بريزة» على مائة الجنيه.

(٢) أنيس : السابق ١٠٧، ١٠٨.

(٣) أنيس: السابق ١٢٢

(٤) انظر: أنيس: السابق ١٠٩ ـ ١٣١.

(٥) انظر شاهين: مرجع سابق ٢٦٥.

ويعتبر المجاز كذلك رافداً مهما من روافد التنمية اللغوية في وضع المصطلحات الجديدة، ويقصد بالمجاز استعمال اللفظ في غير ما وضع له مع قرينة تمنع من إرادة المعنى الأصلي: فالطيارة تدل في الأصل على الفرس الشديد، والسيارة تدل على القافلة، ثم أطلقتا حديثا على الآلتين المستحدثتين اللتين تجوبان اليوم الأرض والفضاء[1].

(١) انظر: شحادة الخوري: مرجع سابق ٣٧.

الاتساع ودقة الأداء

من فضول القول أن نذكر في هذا المقام أن اللغة العربية من أغنى لغات العالم بالمفردات والمترادفات، وهي - على الأقل - أغنى بمفرداتها من مجموعة اللغات السامية، وقد انقرضت كلها - على وجه التقريب - ولم يعد منها إلا آثار تاريخية في النقوش والمخطوطات وهي الكنعانية والفينيقية والعبرية والآرامية والنبطية والبابلية والكلدانية والسريانية والهيروغلوفية والحبشية.

ولا يدل على مرونة اللغة العربية واتساعها وشموليتها كثرة مفرداتها، التي تعد بمئات الآلاف فحسب، ولكن يدل على ذلك أيضاً كثرة الروافد والطرائق التي تغذي اللغة العربية، وتسمح لها بالتوليد والإضافات كالقياس والاشتقاق والنحت والتعريب وغيرها.

وهذا يعني أنها لغة مفتوحة للتواصل الدائم على مدى العصور، وأن باب الاجتهاد فيها لم يغلق ولن يغلق. وقد تحدث اللغويون عن خصائص اللغة العربية وتفردها في جوانب كثيرة، وتفوقها على كثير من اللغات الأخرى في هذه الجوانب، وذلك في دراسات مقارنة. وذلك يخرج عن نطاق بحثنا. ولكننا نجد من اللازم أن نتحدث في إيجاز عن مظهرين من مظاهر القدرة الذاتية في اللغة العربية وهما:

دقة الفروق بين كثير من كلمات العربية مما يعتقد البعض أنها مترادفة أي متساوية تماما في المعنى[1].

أما المظهر الثاني: فهو الدقة في الاستيعاب، وتعريف المسمى بكل أنواعه التعريف الجامع المانع الذي لا يترك زيادة لمستزيد.

• • •

(١) لمعرفة تفاصيل الخلافات في الترادف ارجع إلى كتاب (في اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ١٦٢ - ١٨٠.

أولا : دقة التفريق

ومن أشهر الكتب التي تناولت هذه الظاهرة كتاب الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، ونجتزئ منه بعض الأمثلة التي تبين عن هذه القدرة.

١ ـ الفرق بين الصفة والنعت:

النعت: لما يتغير من الصفات.

والصفة: لما يتغير وما لا يتغير فالصفة أعم من النعت. (ص١٨).

٢ ـ الفرق بين الحقيقة والحق:

الحقيقة: ما وضع من القول موضعه في أصل اللغة؛ حسناً كان أو قبيحاً.

والحق: ما وضع موضعه من الحكمة، فلا يكون إلا حسنا. (ص٢١).

٣ ـ الفرق بين الإعادة والتكرار:

التكرار: يقع على إعادة الشيء مرة، وعلى إعادته مرات.

أما الإعادة: فهي للمرة الواحدة. (ص٢٧).

٤ ـ الفرق بين الهجو والذم:

الذم: نقيض الحمد، وهما يدلان على الفعل.

والهجو: نقيض المدح، وهما يدلان على الفعل والصفة، كَهَجْوِكَ الإنسان بالبخل وقبح الوجه.

وفرق آخر:

أن الذم: يستعمل في الفعل والفاعل، فتقول ذممته بفعله، وذممت فعله.

والهجو: يتناول الفاعل والموصوف دون الفعل والصفة، فتقول هجوته بالبخل وقبح الوجه، ولا تقول هجوت قبحه وبخله. (ص٣٨).

٥ ـ الفرق بين المسألة والفتيا:

المسألة: عامة في كل شيء،

والفتيا: سؤال عن حادثة. (ص٤٩).

٦ ـ الفرق بين العلم والمعرفة:

المعرفة: أخص من العلم، لأنها علم بعين الشيء مفصلا عما سواه. والعلم: يكون مجملا ومفصلا. (ص٦٢).

٧ ـ الفرق بين القريحة والطبيعة:

الطبيعة: ما طبع عليه الإنسان أي خلق. والقريحة ـ فيما قال المبرد: ما خرج من الطبيعة من غير تكلف. (ص٦٨).

٨ ـ الفرق بين الإهلاك والإعدام:

الإهلاك: أعم من الإعدام، لأنه قد يكون بنقض البنية وإبطال الحاسة، وما يجوز أن يصل معه اللذة والمنفعة.

والإعدام: نقيض الإيجاد، فهو أخص: فكل إعدام إهلاك، وليس كل إهلاك إعداما. (ص٨٤).

٩ ـ الفرق بين الجعل والعمل:

العمل: هو إيجاد الأثر في الشيء.

والجَعل: تغيير صورته بإيجاد الأثر فيه. (ص١١٠).

١٠ ـ الفرق بين البعض والجزء:

البعض ينقسم.

والجزء لا ينقسم.

والجزء يقتضي جمعا.

والبعض يقتضي كلا، (ص١١٦).

١١ ـ الفرق بين النصيب والحظ:

النصيب: يكون في المحبوب والمكروه،

والحظ: ما يكون في الخير. (ص١٣٦).

١٢ ـ الفرق بين الوَلاية (بفتح الواو) والنصرة:

الولاية: النصرة لمحبة المنصور لا للرياء والسمعة، لأنها تضاد العداوة.

والنصرة: تكون على الوجهين. (ص١٥٦).

١٣ ـ الفرق بين الإيجاب والإلزام: الإلزام: يكون في الحق والباطل، يقال ألزمته الحق، وألزمته الباطل. والإيجاب: لا يستعمل إلا فيما هو حق. فإن استعمل في غيره فهو مجاز، والمراد به الإلزام. (ص١٩٠).

١٤ ـ الفرق بين الأبناء والذرية:

الأبناء: يختص به أولاد الرجل وأولاد بناته.

والذرية: تنتظم الأولاد والذكور والإناث. (ص٢٣٤).

● ● ●

ثانياً: الدقة في الاستيعاب

فالعربية وضعت للمسمّى الحسي ـ بصفة خاصة ـ التسمية الجامعة المانعة بحيث لا يدخل معها غيرها. ونسوق هنا سطوراً في كتاب «الفرق» لابن فارس اللغوي، وأغلبه في تحديد أسماء أعضاء الإنسان والحيوان، وما يتعلق بها:

١ ـ باب الشفة: الشفة من الإنسان، وهو من الإبل المشفر، ومن ذوات الحافر: الجحْفَلة، ومن ذوات الظلف المِقَمَّة، ومن الطائر غير الجارح: المنقار، ومن الجارح: المِنْسر، ومن الذباب: الذُّقط. (ص٥١).

٢ ـ باب الأصوات: صاح الإنسان، وصوت، وعزف الجني. ورغا البعير، وهدر ـ وذلك عند هيجه ـ وكتّ البكر. والصريف صوت نابه عند حَكِّه إياه. وثغت الشاة. ونبّ

التيس عند السفاد. وخارت البقرة، وتأج الثور. وبغم الظبي بُغاماً. وصهل الفرس، وحمحم عند الشعير، والخضيعة صوت يسمع من جوفه، ولا يدرى من أين هو، ونهق الحمار... إلخ (ص٧٠).

ويرى العقاد أن اللغة العربية فاقت غيرها من اللغات، بما اشتملت عليه العربية من تحديد دقيق لكل ساعة من ساعات الليل والنهار والشهور والفصول والمواسم وغيرها[١].

ولا مبالغة فيما ذكره العقاد ففي «فقه اللغة» للثعالبي، وهو يتحدث عن **أوائل الأشياء:**

الصبح : أول النهار. الغسق أول الليل. الوسمي: أول المطر. البارض: أول النبت. اللعاع: أول الزرع. اللباء: أول اللبن. السُّلاف: أول العصير.

الباكورة: أول الفاكهة. البِكْر: أول الولْد. الطليعة: أول الجيش. النَّهل: أول الشرب. والنشوة: أول السُّكْر. الوَخْط: أول الشيب.

النعاس: أول النوم. الحافرة: أول الأمر. الفَرَط: أول الرواد.

الزُّلَف: أول ساعات الليل. الزفير: أول صوت الحمار[٢].

وفي ساعات النهار:

الشروق. ثم البكور. ثم الغُدْوة. ثم الضُّحى. ثم الهاجرة. ثم الظهيرة. ثم الرواح. ثم العصر. ثم القصر. ثم الأصيل. ثم العشي. ثم الغروب.

---

(١) انظر العقاد: اللغة الشاعرة ٧١ ـ ٧٣.

(٢) الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية ١٩.

وساعات الليل:

الشفق. ثم الغسق. ثم العَتَمة. ثم السُّدْفة. ثم الجهمة. ثم الزُّلة. ثم الزُّلفة. ثم البُهْرة. ثم السحر. ثم الفجر. ثم الصبح. ثم الصباح[1].

● ● ●

هذه الخصائص التي تفردت بها العربية ـ وغيرها كثير مما ذكر في كتب علم اللغة ـ تقطع بأن العربية لغة خالدة، لأنها ـ مهما تكالب عليها من محن ـ يبقى لها هذا الرصيد الضخم من القوة الذاتية التي تجعلها لغة قادرة في كل الظروف والأزمنة والأحوال.

(١) الثعالبي: السابق ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

القسم الثاني

وسائل الإعـلام

بين الإنهاض والإجهاض



مدخل وتمهيد

ثلاثية الإعلام

الأبعاد وقدرة التأثير

مدخل وتمهيد

لا يستطيع أحد أن ينكر الأثر البالغ لوسائل الإعلام على الفرد والمجتمع، فهناك ما يشبه الإجماع على أن في وسع وسائل الإعلام أن تنهض بالشعوب في مجال التعليم من أدنى الدرجات إلى أرفعها، وأنها ـ بمداخلتها للحياة في كل بيت وفي كل ساعة ـ قادرة على أن تحقق أبعاد مجالات التقدم والتنامي.

وثمة أيضا ما يشبه الإجماع على أن وسائل الإعلام لا تستخدم استخداماً مفيداً أو منتجاً في الوطن العربي. وأنها إلى المتعة أقرب منها إلى الفائدة، وإلى إضاعة الوقت أقرب منها إلى الاستفادة من الوقت، وأنها إلى العمل السياسي أقرب منها إلى العمل العلمي الأساسي الدائم[1].

وفي نطاق اللغة وحدها ثمة كذلك ما يزيد على الإجماع في أن أي تحرك لغوي في أي اتجاه يستطيع أن يجد من وسائل الإعلام ركائز نجاحه، ووسائل هذا النجاح، وأن هذه الوسائل ليست جزءاً إضافيا على برامج نمو اللغة ونشرها، وإنما هي في صلب هذه البرامج.. ولا ينقص الوطن العربي استخدام هذه الوسائل. وإنما ينقصه حسن استخدامها[2].

• • •

وهذه الوسائل الثلاث: الصحافة والإذاعة والتلفاز تتفق في عدة وجوه أهمها:

(١) **الغاية والهدف**: فهي في مجموعها تحرص على تحقيق الأهداف الآتية:

---

(١) د. شكري فيصل ٥٣ من بحث له بعنوان «قضايا اللغة العربية المعاصرة» والبحث من ص٣٠ إلى ص٥٥ في كتاب اشترك في وضعه آخرون بعنوان: «من قضايا اللغة العربية المعاصرة».

(٢) السابق: الصفحة نفسها.

أ ـ نقل المعلومات والمعارف والأخبار إلى المتلقين (المستقبلين). وهذا ما يمكن أن نسميه «الهدف المعرفي» أو «الهدف التثقيفي».

ويحصل الناس على التثقيف بشكل عفوي غير مقصود، أو بشكل مقصود ضمن إطار من التخطيط والتنسيق المسبق. فالتثقيف العفوي هو ما يحصل نتيجة العرض العشوائي غير المخطط له، كالمعلومات والأخبار العامة التي تنقلها وسائل الإعلام، ويتناقلها الناس.

وهناك التثقيف المخطط كالبرامج والنشرات المتخصصة للطلاب والمزارعين وغيرهم في حقول تخصصاتهم[1].

ب ـ تحقيق هدف تربوي بالتركيز على قيم معينة، وتبسيطها، وتأكيدها، والإلحاح عليها، وخصوصا النواحي الدينية والسلوكية والقومية.

جـ ـ التوجيه المذهبي (الأيديولوجي): ويأتي هذا الهدف في المرتبة الأولى عند الدول ذات النظام الشمولي، وخصوصا الدول الشيوعية، وكان على قمتها الاتحاد السوفييتي «سابقا» فوسائل الإعلام ـ من صحافة وإذاعة وتلفاز ـ كلها لا تعدو أن تكون أبواقا للمذهبية الشيوعية، والترويج لسياسة الدولة، وتبرير سلوكياتها، بل أخطائها.

(٢) تواصل العمل واستمرارية التأثير:

فالكتاب مثلا ـ قد يكون له دويه وتأثيره في آنه، وقد يكون له تأثيره بعد ذلك لفترة ما، ثم يفتر هذا التأثير ، ويذوي وينقطع، وينساه الناس تماما.

ولا كذلك وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفاز، فاستمرارية الإصدار، واستمرارية الإرسال تعني استمرارية العمل، ومن ثم استمرارية التأثير. مع

---

(١) انظر د. عبدالفتاح أبو معال: أثر وسائل الإعلام على الطفل ٢٠ ـ ٢١.

اختلاف قدر التأثير تبعاً للظروف والوقائع، ومدى قابلية المتلقين في حالي الحرب والسلم.

(٣) المرونة والقدرة على التطور والتفاعل مع التطورات العلمية والتقنية:

فكل وسائل الإعلام أفادت وما زالت تفيد ـ إلى أبعد مدى ـ من التقدم التقني، فإذا ما تركنا الوسيلتين المخترعتين:

الإذاعة والتلفاز، ولو نظرنا إلى صحف اليوم، ووازناها بصحف القرن التاسع عشر أو مطالع القرن العشرين: أدركنا الفرق الهائل: في الشكل وعدد الصفحات، ونوع الطباعة والألوان، وسرعة الإنجاز، وتعدد مواطن الطبع في وقت واحد للصحيفة الواحدة، بل وطبع عددين مختلفين تماما للصحيفة الواحدة[١].

وتطور تقنية المذياع والتلفاز، أوضح من أن نقف عنده وخصوصا بعد انتشار البث عن طريق الأقمار الصناعية، وأصبحت محطات البث في الدول أكثر من أن تحصى، وظهر إلى الوجود الاستقبال بالأطباق المستقبلة (الدِّش).

• • •

ولكن علينا أن ندرك أن هناك فروقاً بين هذه الآليات الثلاث حتى نستطيع أن نتبين مدى تأثيرها في اللغة بصفة خاصة، وحتى نستطيع أن نعرف المسار الصحيح للتعامل معها، والانتفاع بها في شتى المجالات، بصفة عامة.

ومن أهم هذه الفروق:

(١) تمتاز الصحيفة بتعددية مصادرها وكثرتها للوصول إلى مادتها الصحفية التي ستقدمها للقراء. فقد تعتمد المصادر والمراجع المطبوعة والمكتوبة والمسموعة والمرئية

(٤) كما تفعل صحيفة الأهرام إذ تصدر في وقت واحد: الأهرام الدولي والأهرام العادي الذي يوزع في مصر والبلاد العربية.

بواسطة الكتب والإذاعات والتليفزيونات ووكالات الأنباء، والصحف والمجلات والمقابلات الشخصية(١).

(٢) والطباعة وسيلة إعلام خطية مصفوفة، بحيث تقرأ كلمة كلمة وسطراً سطراً، وهكذا تأتي الأفكار تترى، وتتتابع الانطباعات بشكل تدريجي، وبمعدل بطيء عن طريق العين والذهن معاً، فالأفكار تتوالى من خلال تتابع صور محددة، والقارئ هو الذي يحدد معدل القراءة، ويتحكم في سرعتها، ثم إنه قد يكون عنده من الوقت ما يجعله يتوقف عن القراءة، أو يقوم بتحليلها، أو يعيد القراءة وهكذا.

وعلى النقيض من ذلك تماما نجد أن الراديو والتليفزيون يستغرقان الإنسان حركيا وانفعاليا، ولا شعوريا وذهنيا. فالوسيلة ـ لا المشاهد ـ هي التي تقرر معدل الإيقاع وسرعته(٢).

(٣) وفرق آخر بين الصحيفة والآليتين الأخريين ـ الراديو والتلفاز ـ ويكاد يكون أوضح الفروق، وهو قابلية البقاء والحفظ والمراجعة، فالشخص يستطيع أن يحتفظ بالصحيفة ويرجع إليها في أي وقت شاء، بينما تنتهي معروضات الراديو والتلفاز بانتهاء بثها(٣).

فلا عجب أن تثبت التجارب أن تقديم المواد المعقدة مطبوعة يعتبر أفضل بكثير من تقديمها شفويا(٤).

(١) د. عبدالفتاح أبو معال: مرجع سابق ١١٢.

(٢) د. إبراهيم إمام: الإعلام الإذاعي والتليفزيوني ٢٣٥.

(٣) مع ملاحظة أن التقنيات الحديثة مكنت الإنسان من حفظ الصحف لمئات من السنين فيما يسمى «بالميكروفيلم»، ويستطيع من يريد أن يسترجع أية مادة يريدها من أية صحيفة. ومن ناحية أخرى: تعطي أجهزة التسجيل الصوتي وأجهزة الفيديو إمكانة حفظ المادة الإذاعية والتلفازية.

(٤) H. Goldstein, "Reading and Listening Comprehension at Various Controlled Rates" P.62.

(٤) ولكن الكلمة المنطوقة إذا أُدّيَت أداءً متميزاً أقوى تأثيراً في النفس من الكلمة المكتوبة، لأن الأداء النطقي القوي يرشحها للتغلغل في النفس، والتأثير في العقل والوجدان، ولعل هذا ما كان يعنيه هتلر بقوله في كتاب كفاحي: «إن القوة التي حركت أعظم الانهيارات التاريخية ذات الطبيعة السياسية والدينية كانت منذ بدء التاريخ هي القوة السحرية التي تنطوي عليها الكلمة المنطوقة وحدها»[١].

ويظهر هذا بصفة خاصة في الأوقات غير العادية في حياة الأمة، وخصوصا الحروب، حيث تنهض مع حروب المدافع والطائرات والخنادق حروب من نوع آخر، هي حروب الإذاعات، كما كان يحدث في الحرب العالمية الثانية، إذ كان للإذاعة التي تبثها ألمانيا للبلاد العربية، ويقوم عليها مذيع عربي قدير هو يونس بحري فعل السحر في نفوس الناس.

(٥) والراديو في عصرنا الحاضر ـ عصر «الترانزستور» ـ يملك صاحبه حرية حمله وتحريكه بالصورة التي يريدها، فهو يحمل في الجيب أو اليد، وهو في السيارة والبيت والشارع والأندية والمجالس، ويمكن الاستماع إليه في أي وقت يشاء الإنسان، وبالطريقة التي يريدها، سواء أكان منفردا، أو بين جماعة، دون أن يسيء إلى أحد بالضجيج بعد اختراع «سماعات الأذن» التي تمكن الشخص من الاستماع بمفرده مع وجود الآخرين.

«ونجد أن الراديو في كثير من البلاد النامية هو المصدر الوحيد للمعلومات والإرشادات للسواد الأعظم من سكان هذه البلاد...، ونجد أن الراديو في كثير من هذه الحالات هو المصدر الوحيد للإعلام والتعليم، وأنه الرابطة الوحيدة لهم بالعالم الخارجي، وخصوصاً إذا كانوا يعيشون في مناطق نائية: تبعد لأسباب جغرافية أو مناخية عن أي مركز إداري أو ثقافي أو تعليمي»[٢].

(١) عبدالعزيز شرف : المدخل إلى وسائل الإعلام ٣١٨.

(٢) شرف: المدخل إلى وسائل الإعلام ٤٠٥.

(٦) ودائرة الانتشار للراديو، ثم للتليفزيون بعد ذلك[١] أوسع مدى من انتشار الصحف، وخصوصاً المحلي منها، ولا يقف هذا عند حد المتَلَقّين: أي المستمعين والمشاهدين، بل يمتد إلى عدد الأجهزة نفسها، فعدد أجهزة الراديو أو التلفزيون (كل على حدة) يفوق بكثير جدا عدد ما يوزع من أي صحيفة. وهذه الحقيقة تصدق على كل الدول. بما فيها دول العالم الثالث، مما يؤكد خطورة هذين الجهازين.[٢].

وعن الراديو: كان يوجد في العالم عام ١٩٦٩ حوالي ٦٥٣ مليون جهاز راديو لاستقبال البرنامج الإذاعية ارتفع في عام ١٩٧٥ إلى حوالي ٨٨١ مليون جهاز، وارتفع عام ١٩٨٧ إلى ٩٢٢ مليون جهاز. وعام ١٩٨٣م لنحو ١٥٠٠ مليون جهاز، وتشير أحدث التقديرات إلى أن عدد أجهزة الراديو في العالم يبلغ ١,٢٠٢,٣١٦,٣٣٦ موزعة على ٢١٦ دولة..[٣].

ويوجد في مصر أعلى متوسط لامتلاك أجهزة الاستقبال الإذاعية في القارة الإفريقية، حيث يقدر عدد هذه الأجهزة باثني عشر مليون جهاز بمعدل جهاز لكل ٣,٧٥ فرد تقريبا...[٤].

(٧) والاستماع للراديو لا يحتاج إلى معرفة القراءة والكتابة مما يجعله وسيلة ملائمة لظروف المجتمعات التي ترتفع فيها نسبة الأمية[٥] والتلفاز كذلك ـ مثل الراديو، لا تحتاج مشاهدته إلى معرفة القراءة والكتابة[٦].

(١) وخصوصا بعد استخدام الأقمار الصناعية والبث العالمي عن طريق المحطات الفضائية، وبعد استخدام الأطباق اللاقطة (الدش).

(٢) اعتمدت ـ ضمن ما اعتمدت في هذه المعلومة ـ على استقراء شخصي بالنظر إلى مدينة (المنزلة) المصرية: مسقط رأسي. ففي المدينة ما لا يقل عن عشرين ألف جهاز تليفزيون، بينما يوزع فيها من صحيفة الأهرام قرابة ٤٠٠ نسخة، ومن صحيفة الأخبار قرابة ٣٠٠ نسخة، ومن صحيفة الجمهورية قرابة ٢٠٠ نسخة، ومثلها من صحيفة الشعب الأسبوعية. علما بان عدد سكان المدينة ١٥٠ الف نسمة.

(٣) د. عاطف عدلي العبد: الاتصال والرأي العام ١٦٣.

(٤) السابق ١٦٤.

(٥) السابق ١٦٩.

(٦) السابق ١٨٠.

(٨) والراديو يمنح المستمع القدرة على التنويع، بتنقل المستمع بين محطات إذاعية تعد بالعشرات. والتنويع كذلك متحقق في نطاق محطة الإرسال الواحدة على مدى ساعات اليوم[١].

(٩) ويفترق الراديو عن التلفاز في رخص ثمنه، وكذلك في سهولة استخدامه، والتنقل بين المحطات المختلفة زيادة على سهولة نقله، والتنقل به[٢].

(١٠) والتلفاز أكثر مصداقية من الراديو والصحف، لأنه «مكشوف» للناظرين، وغالبا ما يورد أخباره مؤيدة بوقائعها المصورة. ومن ثم كان أكثر إقناعا من الوسيلتين الأخريين[٣].

(١١) يمتلك التلفاز الآلات والأجهزة من كاميرات تصوير وغيرها، مما يتيح له نقل أحداث وقائع، ومعلومات علمية دقيقة تعجز الأجهزة الأخرى، والطاقة البشرية المجردة عن الوصول إليها[٤].

● ● ●

هذه هي وسائل الإعلام: مفهومها وأبعادها، وما التقت عليه، وما اختلفت فيه، ولكن الحقيقة التي لا يختلف عليها أحد هي أن هذه الآليات الثلاث كان لها آثارها الممتدة على اللغة العربية، وكان ترتيب هذه الآليات في الظهور ـ كما هو معروف تاريخيا ـ الصحف، ثم المذياع، ثم التلفاز، ومن ثم ـ ولأسباب أخرى ـ اختلف التأثير كمّا من آلية إلى أخرى.

أما من ناحية النوع فإننا نكتشف لونين من التأثير متناقضين: نافعا وضارا.. بانيا ومخربا. وهذا ما سنعرضه في الصفحات القادمات: فنعرف أولا: كيف كانت وسائل الإعلام يدا مع اللغة العربية تأخذ بناصرها، وتدفع عنها وتزيل عنها الرّان الذي علق بها وتمدها بما هي في حاجة إليه من جديد، إنها يد البناء والتعمير، ثم نرى بعد ذلك كيف كانت اليد الإعلامية غُرما على اللغة العربية وأداة هدم وتدمير.

---

(١) انظر السابق ١٦٩.

(٢) انظر السابق ١٧٣.

(٣) انظر السابق ١٧٥.

(٤) د. أبو معال: أثر وسائل الإعلام على الطفل ٤٠.

الفصل الأول

ثلاثية الإعلام

يدٌ مع اللغة العربية

لو سألت أميّا عن وظيفة اللغة، وصُغت السؤال في قالب سهل على النحو الآتي:

ـ لماذا تتكلم إلى الآخرين؟

لشك في جدية سؤالك، لأن الإجابة تكاد تكون بدهية من البدهيات، وهي: «حتى يفهمني الآخرون» أو «حتى أبلغهم ما أريد» أو ما شابه ذلك. ولا يشك أحد في أن هذه هي الوظيفة الأساسية للغة، وأنها هي التي جعلت من الإنسان كائنا اجتماعيا، ومكنّته من الشعور بذاته، ومن الاتصال بغيره، ومن العسير أن نتصور حالة أولية للإنسان كان محروما من مثل هذه الوسيلة الناجعة للعمل، فتاريخ البشرية من بدايته يفترض وجود لغة منظمة، وما كان في وسع الإنسان أن يسير في طريق التطور دون لغة[1].

ولكن وجود الأصل لا يلغي وجود الفرع، وبتعبير آخر: وجود الأهم لا يلغي وجود المهم، فإذا كان التعبير عما في النفس، والتفاهم مع الآخرين هو الفرض الأصلي الرئيسي للغة، فإن هناك أغراضا أخرى مهمة، وإن قلت في أهميتها عن هذا الغرض الرئيسي الأصلي.

• • •

وقد حدد جيفونز Jevons أغراض اللغة في أمور ثلاثة هي:

١ ـ كون اللغة وسيلة التفاهم.

٢ ـ كونها أداة صناعية تساعد على التفكير.

٣ ـ كونها أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها[2].

(١) انظر: ج. فندريس: اللغة ٢٤.

(٢) أوتوجسبرين: اللغة بين الفرد والمجتمع ٨.

وتكاد هذه المهام الثلاث تمثل الوظائف الأساسية لأية لغة من اللغات، ويبقى الخلاف بين ما ذكرناه وغيره خلافاً لفظيا كتحديد الأستاذ/ البرت Allport وظائف اللغة الاجتماعية فيما يأتي:

١ ـ أنها تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيماً اجتماعية بسبب استخدام المجتمع اللغة للدلالة على معارفه وأفكاره.

٢ ـ أنها تحتفظ بالتراث الثقافي، والتقاليد الاجتماعية جيلاً بعد جيل.

٣ ـ أنها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد تساعده على تكييف سلوكه وضبطه، حتى يناسب هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه.

٤ ـ أنها تزود الفرد بأدوات للتفكير[١].

ويرتبط بالوظيفة الاجتماعية للغة، بل يدخل في صلبها: أنها تحقق الارتباط الروحي بين أفراد مجتمع معين. وقد تختلف مجموعات من الدول في البيئة والجنس، أو الدين، أو غير ذلك من الفوارق الاجتماعية والاقتصادية، ولكنها تظل متحدة متماسكة إذا كانت لغتها واحدة.. وبهذا نفسر حرص الدول الاستعمارية على نشر لغاتها في الأمم التي تستعمرها، لأنها تكتسب بهذا الغزو الفكري قلوباً وميولاً، ربما لا تحصل عليها بطريق العنف، واستعمال القوى المادية[٢].

وقد بدأ المفكرون ينظرون إلى اللغة على أنها من أهم العوامل التي يمكن استخدامها في تحقيق فكرة التقارب والتفاهم العالمي، وذلك بتبادل الآداب المختلفة والدراسات الاجتماعية كالتاريخ والاجتماع والتربية الوطنية، وغير ذلك مما يوضح آمال الشعوب وطبائعها وعواطفها ومزاياها، وكل ذلك يساعد على تقريب وجهات النظر بين الشعوب المختلفة[٣].

● ● ●

(١) د. عبدالعزيز عبدالمجيد: اللغة العربية: أصولها النفسية وطرق تدريسها ١٩.

(٢) عبدالعليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية ٤٥.

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

وانظر كذلك من ص ٤٧ ـ ٤٨ من كتاب د. عبدالله الطويرقي «علم الاتصال المعاصر».

وتلتقي «اللغة» مع وسائل الإعلام في مهامها الاجتماعية: لا في الهادفية فحسب، ولكن في التفاعل - تأثرا وتأثيرا - كذلك، «فالنظام الاجتماعي الذي تعمل في إطاره وسائل الإعلام يعتبر من القوى الأساسية التي تؤثر على القائمين بالاتصال، فأي نظام اجتماعي ينطوي على قيم ومبادئ يسعى لإقرارها، ويعمل على قبول المواطنين لها، ويمكن أن تعتبر هذه المهمة أو الهدف متصلة بوظيفة التنشئة الاجتماعية أو التطبيع. تعكس وسائل الاعلام هذا الاهتمام بمحاولاتها المحافظة على القيم الثقافية والاجتماعية، وضمان قبول المواطنين لهذه القيم»(١)

لذلك كان التنازل عن لغة الأمة تنازلا عن جزء من عقلها. وكما يقول همبلت Humboldt : «إن لسان أمة جزء من عقليتها، وإن لغة شعب ما هي إلا روحه، كما أن روح الشعب لغته»(٢).

• • •

وفي إجمال وإيجاز نقرر في هذا المقام أن وسائل الإعلام - بصفة عامة، والتلفاز - بصفة خاصة - تعد من عوامل توحيد الأفكار والمشاعر بين الناس، وتوحيد عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم «لأن الآلاف منهم يشاهدون نفس المؤثرات، فهو يساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير والثقافة والأذواق الجمالية»(٣).

• • •

وبعد هذا التعميم من حقنا أن نسأل: ما العطاء الجديد الذي قدمته وسائل الإعلام للغة العربية؟ وما قيمة هذا العطاء ومردوداته ونتائجه؟.

(١) د. جيهان أحمد رشتي: «الأسس العلمية لنظريات الإعلام» ٣٠٥.
وانظر كذلك د. على عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع ١٣٦ - ١٣٨.
(٢) د. مازن المبارك: اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ٦٢.
(٣) د. عبدالرحمن عيسوي: الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي ٢٥.

لقد قدمت هذه الوسائل ـ ولا شك ـ لغة جديدة، وقد اصطلح الإعلاميون والباحثون على تسميتها باللغة الإعلامية، وهي «اللغة التي تشيع على أوسع نطاق في محيط الجمهور العام، وهي قاسم مشترك أعظم في كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، والفنون والآداب، ذلك لأن مادة الإعلام في التعبير عن المجتمع والبيئة تستمد عناصرها من كل فن وعلم ومعرفة»[١].

ولا شك أن النفوذ الهائل لوسائل الإعلام في مجال اللغة هو الذي أدى دورا مهما في خلق اللغة المشتركة بين أصحابها[٢]، فأصبحت عمادا رئيسا «قوة الجذب اللغوية»، وهي القوة التي تتجه إلى التجميع، وتطهير اللغة من عناصر التفرقة التي تفد عليها[٣].

ونستطيع أن نوجز أبعاد هذه اللغة الإعلامية في الصفات والخصائص الآتية:

١ ـ المباشرية.

٢ ـ السهولة والوضوح.

٣ ـ التخفف من الأثقال اللغوية والخيالية، إلى حد التخلص التام أحيانا.

• • •

(١) فهي لغة تتجنب المقدمات الطويلة، وتعالج الموضوعات معالجة شاملة بطرحها للمتلقّي، دون التقدمات المسْهِبة التي كان يقصد بها قديما جذبه والتأثير القَبْلي عليه. فالوصول إلى أفكار الموضوع يكون وصولا مباشرا، دون التوقف عند نتوءات فكرية فرعية، ويظهر ذلك ـ بصفة خاصة ـ في نشرات الأخبار والتعليق عليها.

(١) عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية ١٧٠. والمدخل إلى وسائل الإعلام ٢٤٢.

(٢) انظر: محمد سيد أحمد: الإعلام واللغة ١٩.

(٣) انظر: السابق: الصفحة نفسها.

وقد يكون مرد ذلك إلى أن المتلقي ـ قارئ الصحيفة، والمستمع للإذاعة، ومشاهد التلفاز ـ لم يعد في حاجة إلى هذه التقدمات، وتلك التمهيدات، لعدة أسباب من أهمها:

أ ـ تقدم الوعي، وارتفاع نسبة التعليم، وزيادة «القدر العقلاني» في شخصية المتلقي.

ب ـ تعوده على «التعامل الإعلامي» كشريحة من شرائح حياته اليومية: فهو يقرأ الصحيفة، ويشاهد التلفاز، ويستمع إلى الراديو الذي ينقله معه أنَّى شاء.

• • •

(٢) وهي لغة سهلة واضحة تنزهت عن الإغراب، فلم تعد تستخدم الغريب الوحشي أو المهجور أو المُمات من ألفاظ اللغة. وتصدق هذه الخصيصة على البرامج التراثية كالتفسير، والتوعية الدينية، وتقديم الكتب القديمة وتحليلها.

• • •

(٣) وتخففت هذه اللغة ـ إلى درجة التخلص أحيانا ـ من الصور البيانية، فأحلت التعبيرات المباشرة السهلة محل العبارات البيانية، وعلى سبيل التمثيل:

ـ **تستخدم**: وقد اشتدت المعارك بين المتقاتلين.

بدلا من : اشتد أوار الحرب، أو: حمي الوطيس.

ـ **وتستخدم** : انتهت الحرب.

بدلا من: وضعت الحرب أوزارها.

ـ **وتستخدم** : وشكره على هديته القيمة.

بدلا من: وقد لهج لسانه بشكره.

ـ **وتستخدم**: وقد صمدت القوات في مواقعها، مع كثافة النيران الموجهة إليها.

بدلا من: وقفت القوات في وجه الأعداء كالجبل العاتي، على الرغم من موجات النيران التي تصب عليها.

• • •

ولا شك أن هذا الأسلوب الإعلامي يحقق أهم هدف من أهداف اللغة وهو «إفهام الآخرين ما يعبر عنه برموز أي ألفاظ مركبة».

● ● ●

ومن الحسنات التي تسجل لوسائل الإعلام أنها بهذه اللغة الإعلامية أزالت كثيرا جدا من الفوارق العاتية بين اللهجات المحلية[1]، وقربت هذه اللهجات من اللهجة الأم: لهجة القاهرة، وهي أسهل اللهجات فهما بالنسبة لشعوب المنطقة العربية فضلا عن المصريين في شتى بقاع مصر. كما أنها أقرب اللهجات المصرية إلى لغة الإعلام.

- فلهجة الصعيد تخففت كثيراً من لوازمها اللغوية، التي تتمثل في عبارة مشهورة كنا نسمعها من نصف قرن، وتروى على شكل «نكتة» ومؤداها: أن الطبيب سأل مريضه الصعيدي - وهو يوقع الكشف عليه - عن حالته ومصدر شكواه، فأجابه: بَجِي بَجْفْ أجَعْ (أي كلما هممت بالوقوف أقع، أي أسقط على الأرض).

فتخلصت هذه اللهجة من الفعل (بَجِي)، وأصله الباء + الفعل المضارع أجيء. ويعني الظرفية الزمانية (عندما أو حينما) ولم يبق إلا التزام الجيم بديلا عن القاف: جال. جام. الجلم، بدلا من: قال. قام. القلم.

- وتخلصت اللهجة الصعيدية كذلك من النداء التقليدي «يابُويْ» الذي كان يخاطب به من يكبر المتحدث سنا، واستبدلوا به كلمات أخرى مثل: سيادتك - سعادتك - حضرتك.

- وكذلك من عبارة التعجب المشهورة: (وَهْ يا بُويْ)

● ● ●

(١) مع ملاحظة أن هناك وسائل أخرى تضافرت مع الوسائل الإعلامية في تحقيق هذه الظاهرة منها: سهولة التواصل بين الجماعات في القرى والمدن عن طريق وسائل المواصلات. والمدارس، وانتشار التعليم على نطاق واسع.

وأنبه القارئ إلى أن درايتي ببيئتي المصرية أكثر من غيرها هو الذي دفعني إلى استقاء الأمثلة الواردة في المتن بعد ذلك منها.

ـ ومن لهجات الوجه البحري في شمال دلتا مصر لهجة مدينة المنزلة ـ وهي إحدى مراكز محافظة الدقهلية، ومن ظواهرها الصوتية الضغط على المقطع الأول من الكلمة إذا كان ساكن الثاني في مثل هذه الكلمات: منزلة. فلسفة. مهزلة. حتى لو جاء هذا المقطع بعد أداة التعريف (ال): المنزلة، الفلسفة، المهزلة.

وقد اختفت هذه الظاهرة تماما.

ـ وقد كان أهل قرية العزيزة ـ وهي قرية تابعة لمركز المنزلة ـ ينطقون الكلمات مرخمة، أي دون حرفها الأخير، وخصوصا إذا جاء بعد مدّ: فكلمات:

عصام. بهاء. عظيم. فُتوح. عميل

تُنْطَق بالصورة الآتية:

عِصَا . بَهَا . عَظِي . فُتُو . عَمي.

ولم يعد لهذه الظاهرة وجود نهائيا.

● ● ●

ـ وكانت هناك ظواهر لغوية ونطقية عند أهل المطرية دقهلية الواقعة في أقصى الشمال على بحيرة المنزلة، وقد اختفت هذه الظواهر اختفاء شبه تام:

ـ فمن أساليب النداء التعظيمي مخاطبة الآخرين بـ : (يا حِيلَتي) وكانوا ينطقونها بحاء مكسورة، ولام ساكنة، مع حذف الياء (ياحِلْتى) أي يا منقذي، أو مَلْجئي.

وكانوا يصفون بها كذلك الولد الوحيد أو البنت الوحيدة، فيقولون عنه (دا حِلْتي) أو (دا حلتي م الزمن) وهي هنا تعني:أنه ثروتي ومالي وأعز ما أعتز به.

وقد يستعملون ـ في نفس المعنى ـ كلمة «سَنَدي»، وإن كانت أكثر انتشارا في المدن الأخرى من الوجه البحري.

ـ وفي المطرية حيان يقسمان البلد:

أ ـ حي العقبيين (أو العجبيين ـ كما ينطقونها) في الشمال.

ب ـ حي الغَسْنة (أو الغصنة ـ كما ينطقونها) في الجنوب.

وأغلب سكان الحي الأول من الصيادين، وأغلب سكان الحي الثاني من التجار والموظفين. ومن ثم كانت فرصتهم في السفر والتنقل، والاختلاط بأهل القرى والمدن المجاورة أكبر بكثير من فرصة سكان الحي الأول الذين كانوا يقضون أغلب أيامهم في البحيرة والصيد، فلا عجب أن يكون للهجتهم ملامح لغوية تختلف عن صفات الحي الثاني التي كانت أقرب إلى لهجات أهل المدن الأخرى بالدلتا.

ومن اللوازم اللغوية في لهجة سكان الحي الأول:

١ ـ نطق القاف جيماً قريبة من حرف الجاف الفارسي.

(جلم. عجل. جلع. مجلاع) بدلا من: (قلم. عقل. قلع. مقلاع)

بينما نجد القرى والمدن القريبة يستبدلون بالقاف همزة (ألم. عال. ألع. مئلاع).

٢ ـ كسر الحرف الأخير في الكلمة إذا أضيفت لضمير المخاطب أو الغائب ـ في حالة الإفراد ـ بصرف النظر عن موقع الكلمة في الجملة:

كتابِك ـ كتابِه ـ فلوسِك ـ فلوسِه.

• • •

ـ في مدن الشمال: وخصوصاً بور سعيد ودمياط: تنطق كلمة (ولد) عند النداء، بإحدى الصورتين الآتيتين (وغالباً ما تكون مسبوقة بضمير الفصل (أنت):

ـ إنْتَ ياد (أنت يا ولد)

ـ إنت يَلَا (أنت يا ولد)

وإن غلب الاستعمال الأخير على أهل بور سعيد.

وحاليا: ندر أن تستعمل إحدى الصيغتين... وتحول النداء إلى صيغة سليمة هي:

ـ يا ولد. أو: أنت يا ولد.

• • •

والخلاصة أن لغة الإعلام استطاعت أن تقضي على كثير من الظواهر اللهجية الشاذة، وأن تقرب بين هذه اللهجات، ولهجة القاهرة صاحبة المقام الأول في التلفاز المصري.

هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى أمدت وسائل الإعلام، وخصوصا الصحافة. اللغة العربية بكثير من الألفاظ والعبارات الجديدة المولدة. ومنها على سبيل المثال:

ـ التقنين. التمويل. التطوير. الاستجواب. العضوية.

المنطاد. الدراجة. الهاتف. المذياع. المأساة. الملهاة.

الشيوعية. الاشتراكية. الوجودية. الواقعية.

البلاط (بلاط الملك : أي حاشيته وأخصاؤه).

القوة الضاربة. على مستوى القاعدة (الطبقة الشعبية)

الرقم القياسي. السوق السوداء. أستاذ كرسي ـ

أخذ المبادرة. توتر العلاقات. الثورة البيضاء. الثورة الحمراء.

غزو الصحراء. نقطة نظام. الغزو الفكري. غسيل (أو غسل) المخ(١)

ـ يلعب بالنار. يلعب دوراً مهما. ضحك ضحكة صفراء. ألقى القفاز في وجهه. لعب بالورقة الأخيرة. طرح المسألة على بساط البحث، لا يرى أبعد من أرنبة أنفه (وذلك إذا ذَمّ إنساناً آخر بضيق الأفق وقصر النظر. أما إلقاء القفاز في الوجه فكناية عن الإهانة الشديدة) وهناك عبارات أخرى لا يتسع لها المقام(٢).

• • •

(١) غسيل المخ، أو غسل المخ Brain washing اصطلاح يستعمل كثيرا في المجتمعات ذات النظم الشمولية، ويقصد به محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر، أو ضد إرادته أو عقله عن طريق إعادة تشكيل اتجاهات الفرد في الشكل المطلوب، وذلك بعرض مؤثرات معينة على مخ الإنسان بدرجات متفاوتة مع طبيعته حتى يصل إلى درجة الانهيار، ويكاد يتوقف.. ويصبح الإنسان في حالة ضياع تام، كما يصبح مستعدا لتقبل أية إيحاءات تفرض عليه [معجم مصطلحات الإعلام ٣٢]

(٢) انظر محاضرة: أنيس المقدسي: «الكلام المولد في معاجمنا الحديثة» (مؤتمر مجمع اللغة العربية ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥). وبحث عبدالقادر المغربي «تعريب الأساليب» مجلة مجمع اللغة العربية ١/٢٣٢ ـ ٣٤٩. ودكتورة نفوسة سعيد: تاريخ الدعوة إلى العامية ٢٣٠ ـ ٢٣١.

ودكتور عبدالعزيز شرف: المدخل إلى وسائل الإعلام ٣٩٠ ـ ٣٩٤.

وكثير من هذه العبارات تكاد تكون ترجمة حرفية عن لغات أجنبية مثل: لا جديد تحت الشمس. ألقى القفاز في وجهه. «ومن مظاهر التأثر في التراكيب المستمدة من طبيعة تعبير اللغات الأجنبية شيوع استخدام الجمل الاسمية، وتناثرها وكأنها وحدات مستقلة»[١].

ولا شك أن هذا الاحتكاك اللغوي يصل اللغة العربية بروافد جديدة تشترك مع غيرها في إثراء المعجم العربي، وتطور اللغة العربية وانطلاقها كلغة عصرية عالمية.

فلغة الإعلام إذن كان لها فضل كبير ـ مع عوامل أخرى ـ في نشر الفصحى، وتنبيه الوعي اللغوي. ولكننا نخالف الدكتور شرف فيما يراه من أن «الإعلام والصحافة ـ بوجه خاص ـ قد حققا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة، وكل ما نادى به الغيورون على هذه اللغة من وجوب تبسيطها بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء، ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء، بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد، أو مستحدث في الأدب والعلم والفن جميعاً»[٢].

وهو حكم مغرق في المبالغة: فوسائل الإعلام إن حققت بعض المطلوب المأمول، فإنها لم تحقق كل ما نادى به، وأمل فيه المجددون، والغيورون على اللغة، كما ذهب الكاتب.

ولو صح هذا الحكم لكان دعوة ضمنية إلى إيقاف كل محاولات التجديد، ودعوات التيسير والتطوير. على أن وسائل الإعلام ـ وقد أشرنا إلى ذلك من قبل ـ لم تكن دائماً خيراً وبركة على اللغة العربية، فهي إذا كانت قد قدمت نفعاً للغة العربية فإنها ـ كما يقول أحد الباحثين[٣] ـ سببت في الوقت نفسه إفساداً للغة بالغ الخطورة. وسنرى في الصفحات الآتية مدى المصداقية في ذلك.

---

(١) عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية ١٨٣.

(٢) شرف: السابق ١٧٢.

(٣) د. محمد سيد أحمد، الإعلام واللغة ١٩.

الفصل الثاني

ثلاثيــة الإعــلام

يدٌ على اللغة العربية

لن نتحدث عن الآثار السيئة لوسائل الإعلام ـ وخصوصاً التلفاز ـ على أخلاقيات الأطفال والشباب والقيم الدينية والأسرية والوطنية، فكل أولئك خارج عن نطاق بحثنا. كما أن هناك عشرات من الكتب والبحوث غطت هذا الموضوع تغطية وافية، وخصوصاً بعد ظهور الدش، أو أطباق الاستقبال(١).

• • •

ونطاق بحثنا هو: الجوانب والتأثيرات اللغوية، وفي حدود هذه الجوانب نبدأ بالحديث عن شريحة من شرائح المعروضات الإذاعية والتلفازية وهي: الإعلانات. ومعروف أن الإعلانات بدأت وتطورت في المجتمعات الغربية الرأسمالية، وسرعان ما انتقلت إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية كما هي دون مراعاة للاختلافات الحضارية والثقافية والقيم الدينية بين مجتمعاتنا والمجتمعات الغربية(٢).

والإعلانات التجارية تثير الأطفال وتجذبهم إلى حد بعيد، إلى درجة أن تجد الطفل ينتظر الإعلانات التجارية بفارغ الصبر، وما إن تأتي حتى ينصرف عن كل شيء يشغله، ويتجه بلهفة وشوق إليها(٣).

---

(١) من هذه الدراسات:

١ ـ التلفزيون بين المنافع والأضرار: د. عوض منصور.

٢ ـ بصمات على ولدي: طيبة اليحيى.

٣ ـ البث المباشر: حقائق وأرقام: د. ناصر بن سليمان العمر.

٤ ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي: د. عبدالرحمن عسيري.

٥ ـ البث المباشر: التحدي الجديد: د. عبدالرحمن إبراهيم عسيري.

٦ ـ الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق: د. محمد علي العويني

٧ ـ رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر: يوسف العظم.

(٢) د. سامي محمد ربيع الشريف: الأطفال ومحتوى الإعلانات في التلفزيون السعودي ـ ص٢١١ ـ منشور في: الدارة. العدد الرابع السنة ١٩.

(٣) د. أحمد المعتوق: دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية. ص٨٦ ـ بحث منشور في مجلة رسالة الخليج العربي. العدد ٤٧. السنة ١٤ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م ـ من ص٥٥ إلى ١١٨.

وانظر كذلك: د. عبدالله مسعود الطويرقي: قضايا في الإعلام والمجتمع ١٤١.

وقد ترجع قوة جذب الإعلانات ـ للأطفال بخاصة ـ إلى أسباب متعددة. أهمها:

١ ـ قصر الفترة الزمنية التي يستغرقها الإعلان، فهو في الأغلب الأعم لا يستغرق أكثر من خمس دقائق.

٢ ـ تنوع أسلوب عرض الإعلانات: فبعضها يعتمد على سرعة الحركة، وبعضها يأتي في صورة مشهد تمثيلي، وبعضها يعتمد على الرقص والموسيقى...إلخ.

٣ ـ تجنبها العرض التقريري الجاف الذي يعتمد على كتابة الإعلان على شاشة التلفاز، ويقرؤها المذيع. وهذا اللون لا يرتفع في تأثيره إلى مستوى الإعلانات التي فيها حظ كبير من الفن والبذخ.

٤ ـ تأتي هذه الإعلانات بين فقرات طويلة كالأفلام والبرامج الثقافية ونشرات الأخبار ومباريات كرة القدم، فكأنها «وقفة راحة» لالتقاط الأنفاس بعد مشاهدة معروضات طويلة.

٥ ـ وأهم من كل أولئك أن الإعلان نجح في توظيف العناصر العلمية والنفسية الحديثة التي تضمن للإعلان النجاح والشيوع: من خدع تصويرية وموسيقى، وحوار فني، وممثلين وممثلات على قدر فائق من الجمال.

• • •

وقد حقق الإعلان التلفازي نجاحاً هائلاً، وأصبح شغلاً شاغلاً للأطفال والشباب، ولكن ذلك لم يكن على حساب الإعلانات الصحفية التي أخذت تزيد بصورة مطردة، «فالصحف تستحوذ على نصيب الأسد من مخصصات الإعلان، فهي تختص بنحو ثلثي هذه المخصصات في مصر، وبنحو نصفها في البلاد الأوروبية المتقدمة، والولايات المتحدة الأمريكية»[١].

(١) د. إبراهيم إمام: الإعلام الإذاعي ١٤٣.

وأغلب الإعلانات التلفازية تأتي إعلانا عن سلع كالملابس والمأكولات والسيارات، وبعضها عن أفلام أو كتب، وبعضها للترويج السياحي. وبالنظر إلى صناعة الإعلان، ومنشأ الصنعة نجد أن الإعلانات التلفازية تتوزع على النحو الآتي:

١ ـ إعلانات عربية : وهي تمثل أغلب الإعلانات المعروضة، وهي عربية صناعة وأشخاصا ولغة، بصرف النظر عن السلع موضوع الإعلان التي قد تكون عربية أو أجنبية.

وهذا النوع من الإعلانات ـ بصفة خاصة ـ يُنفق عليه ببذخ شديد جدا، ويعالج من الناحية الفنية معالجة بارعة تحقق كل العناصر الجمالية التي تشد إليها المشاهدين، وخصوصا الأطفال.

٢ ـ إعلانات أجنبية: صناعة ولغة، وهي قليلة نسبيا[١].

٤ ـ إعلانات أجنبية مدبْلجة: وهي أجنبية صناعة ولغة مع استبدال اللغة العربية بلغة هذه الإعلانات، بعد ترجمة صوتية للحوار الدائر بين الشخصيات.

• • •

يلاحظ أن لغة الإعلانات في التلفاز المصري هي العامية المصرية غالبا، ولكن هناك إعلانات بالعربية الفصحى، وإن كانت قليلة، ويزيد التلفاز السعودي عليهما اللهجة الشامية[٢].

---

(١) كتب أنيس منصور في أهرام الأربعاء ١٤/١٢/١٤١٤ ـ ٢٥/٥/١٩٩٤: «الفرنسيون شديدو الاعتزاز بلغتهم الجميلة، القادرة على التعبير الدقيق عن كل شيء في الفلسفة والأدب والعلوم، لذلك يرفضون استخدام تعبيرات أمريكية أو أسماء إنجليزية للدلالة على ما يريدون، ففي ذلك اتهام للغة الفرنسية.

وذهب الفرنسيون إلى أبعد من ذلك.. أبعد من مجرد الرفض والاستنكار: إلى فرض عقوبات على من يفعل ذلك (أي استعمال كلمات إنجليزية وأمريكية في الحوار، أو أسماء المحلات)، أي على من يهين لغته وقومه، ولن تسمح الدولة بالترخيص لأي محل أو شركة أو مؤسسة لا تحمل اسما فرنسيا».

(٢) والإعلانات المقدمة في التلفاز السعودي والتي يتحدث بها الأطفال: نجد أن من بين ٣٢ إعلانا قدم ٢١ منها باللهجة المصرية (بنسبة ٦٥,٦٢٪) وثمانية إعلانات بالعربية الفصحى (أي بنسبة ٢٥٪) وإعلانان باللهجة السعودية (بنسبة ٦,٢٥٪) وإعلان باللهجة اللبنانية (بنسبة ٣,١٣٪) [د. سامي الشريف: مرجع سابق ٢٣٦]

وأثبتت إحدى الدراسات التي أجريت على عينة عشوائية من الأطفال المصريين أن ٧٥٪ من أطفال العينة يشاهدون الإعلانات بانتظام. وأن ١٦٪ تتسم مشاهدتهم بالانتظام النسبي. بينما لم تزد نسبة عدم المشاهدة بانتظام عن ٩٪ فقط.

كما أن من أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة أن الإعلان التليفزيوني يمثل العامل الأول في تحريك الطلب على السلع لدى الأطفال، وذلك بنسبة ٤٤٪ وأن للإعلان قدرة كبيرة على تشكيل أنماط استهلاكية للطفل، تظل لصيقة به(١).

ومن فضول القول أن نقرر أن الإعلانات هي أقدر الأعمال التلفازية على الترسب والبقاء في نفس المشاهد وحافظته، وذلك لأنه يتكرر عشرات المرات في فترات مختلفة، وقد يتكرر مرات متعددة في اليوم الواحد، زيادة على ما يتوافر فيه من خفة وجمال وطرافة، وخدمة فنية عالية.

وهناك أيضا الإعلانات الملصقة، وهي الإعلانات الكبيرة الحجم التي توضع على الجدران في الطرقات العامة، وفي الأمكنة العمومية المختلفة. ومميزات الملصقات أنها تُرى عن بُعد، وتقرأ بسرعة، وتقوم بنشرها شركات الإعلان المختلفة(٢).

وثمة أنواع أخرى من الإعلانات مثل إعلانات المساحات، والإعلانات على وسائل النقل، والإعلانات التي توزع باليد، والإعلانات المضيئة(٣).

ويمكن حصر أهم التأثيرات اللغوية السيئة للإعلانات ـ وخصوصا التلفازية ـ فيما يأتي:

---

(١) د. سامي الشريف: مرجع سابق ٢١٨.

(٢) أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات الإعلام ٣١٠.

(٣) انظر: المرجع السابق: الصفحات التالية بالترتيب: ١١ ـ ٢٠ ـ ٧٩ ـ ٨١.

وقد عرض المعجم ألوانا أخرى متعددة من الإعلانات ومنها: الإعلان الإرشادي، وإعلان البريد، والإعلان الإعلامي، والإعلان التذكيري، والإعلان التنافسي، والإعلان السلعي.... وغيرها.

١ ـ الترويج للعاميات: باتخاذها أسلوباً أمثل للأداء الإعلاني وخصوصاً إذا كان الإعلان رفيع المستوى من الناحية الفنية.

٢ ـ الترويج للغات الأجنبية: وخصوصا الإنجليزية بعرض إعلانات بهذه اللغة، أو بتطعيم الإعلانات العربية بكلمات أجنبية. وكل أولئك يكون طبعا على حساب مساحة من اللغة العربية.

٣ ـ الترويج للأخطاء اللغوية: التي تجري على ألسنة شخصيات الإعلان، إذا ما اعتمد الإعلان على التمثيل والحوار. ويسهل هذا الترويج إذا ما كانت شخصيات الإعلان من الشخصيات التمثيلية المحبوبة للجماهير بعامة، والأطفال بخاصة.

٤ ـ الترويج لعادات نطقية سيئة، كترقيق ما حقه التفخيم، أو العكس، ونطق الذّالِ زايا، والضّاد والثّاءِ سِيناً....إلخ.

٥ ـ إفساد الذوق الأدبي واللغوي: وذلك بتعمد استعمال قوالب غالطة، أو غربية في الإعلان.

• • •

ويؤكد التأثيرات السابقة، وأكثر منها، ما لمسته بنفسي من وقائع في محيط الأسرة والأبناء والمجتمع العام، وأجتزئ هنا ببعض الأمثلة:

أ ـ إعلان في التلفاز المصري عن أحد الأفلام المصرية من عشر سنوات تقريبا، وفي الإعلان يظهر الممثل محمد رضا متلاعبا بالعربية والإنجليزية وأذكر من عباراته:

ـ أنا مثلت أكثر من ميت فيلم سلمائي (سينمائي)، وكان آخر فلم «جُنْدِنْ فِنْجن» وهو يقصد الفيلم الأمريكي المعروف: الأصابع الذهبية :Golden Fingers . وأصبح أبنائي الصغار وأصدقاؤهم في الشارع يرددون دائما (جندن فنجن)، حتى إنهم أطلقوا هذه التسمية على واحد منهم.

ب ـ وفي التلفاز المصري عرض ـ لمئات من المرات لعدة أشهر ـ إعلان عن مسرحية (فارس بني خيبان)، زيادة على الإعلانات التي غصت بها الشوارع والميادين لهذه المسرحية.

أخبرني أحد أصدقائي المدرسين بالمرحلة الثانوية أنه طلب من طلابه ـ في تطبيق تحريري ـ استخدام صيغة (فعلان) في جملة. وفوجئ بأن قرابة ٤٠٪ من الطلاب كتبوا المطلوب على النسق الآتي:

- شاهدت فارس بني خيبان.
- نظرت إلى فارس بني خيبان.
- انتصر فارس بني خيبان.
- ما أجمل فيلم فارس بني خيبان.

وقد غُيِّر اسم المسرحية بعد ذلك ـ لسبب مجهول يقال إنه سياسي، وأصبح الاسم الجديد الذي تحمله الإعلانات «فارس وبني خيبان». فوقع الإعلان في خطأ نحوي بشع. فالصحيح (بنو)، لا (بني).

جـ ـ وإعلان آخر عن مسرحية باسم (بحبك يا مجرم). وهي تسمية لا أخلاقية ـ كما هو واضح. وسوأتها الثانية أنها تروج للعامية وقواعدها التي تتسع لوضع الباء قبل الفعل المضارع للتدليل على الحال، أوْ دَيْمومة الحال، وأصبح الفعل أحبك (بحبك)[1].

● ● ●

(١) حكى لي أحد أصدقائي أنه كان يداعب ابنه الصغير «عادل» الذي لم يتجاوز الرابعة من عمره، قال الأب لابنه: «بحبك يا عادل» فأجابه الطفل الصغير على الفور: «بحبك يا مجرم»، وهي واقعة على بساطتها تدل على قدرة الإعلانات على السيطرة على عقول الصغار، وخطرها على قيمنا الخلقية.

وما يقال عن الإعلانات التلفازية يقال عن الإعلانات الإذاعية والإعلانات الصحفية مع اختلاف في قدر التأثير، وكمّ الأخطاء. والأخطاء في الإعلانات الصحفية ـ بصفة خاصة أكثر من أن تعد وتحصى، وأقدم للقارئ بعض الأخطاء التي وردت في إعلانات عدد واحد من صحيفة الأهرام المصرية[1]:

١ ـ (ادفع واستلم فورا) ص٨ . والصحيح.... وتسلّم فورا.

٢ ـ (أمين عام لجنة الإغاثة) ص٩. والصحيح: الأمين العام للجنة الإغاثة.

(لأنه لا يفصل بين المضاف والمضاف إليه إلا شذوذا)

٣ ـ (فلان أستاذ مساعد أمراض النساء والولادة) ص٩

والصحيح: ... الأستاذ المساعد لأمراض...

وذلك للسبب الذي ذكرته آنفا.

٤ ـ (مساحة ٢ فدان... وليس عليها أي إنشاءات أو مباني) ص١٠

والصحيح: مساحة فدانين ... أو مبانٍ.

٥ ـ (لا تقبل غير الإناث لهذه الوظائف) ص١٢

والصحيح: لا يُقبل ـ (لأن نائب الفاعل: غير، لا: الإناث)

٦ ـ (مطلوب حالا مستشفى خاص بالمملكة العربية السعودية... طبيبات وإخصائيات) ص١٢.

والصحيح: مطلوب.. لمستشفى ... طبيبات اختصاصيات أو مختصات.

٧ ـ (... إنشاء وتبطين المجاري..) والصحيح (إنشاء المجاري وتبطينها) ويختم الإعلان السابق بالعبارة الآتية:

(١) أهرام الجمعة ٩ من ذي الحجة ١٤١٤ ـ ٢٠ من مايو ١٩٩٤.

(... وعلى ألا يكون العطاء مشروطاً بأي شروط مخالفة لشروط العطاء، وأية اشتراطات أخرى مقترنة بالعطاء ستقيم ماليًّا، وتضاف إلى القيمة الإجمالية لجدول فئات العطاء، لتحديد أولوية العطاءات).

والعبارة ـ كما هو واضح ضعيفة ركيكة. زيادة على انغلاقها وصعوبة فهمها.

٨ ـ (... يشمل العرض : إفطار مميز بالغرفة .. انتظار للسيارات) ص١٣

والصحيح: إفطاراً مميزاً.. انتظاراً للسيارات.

٩ ـ (.. بيع بالمزاد العلني للعقار المملوك لفلان.. وبيانه كالآتي) ص١٥

والصحيح: وبيانه الآتي، أو: وبيانه هو الآتي:

١٠ ـ (.. فاذهب وادْلي بصوتك) ص١٥

والصحيح : وادْلِ.

١١ ـ (.. ويعود إليكم كموزع لشركة النصر) ص١٩.

والصحيح: موزعا (لأن كاف التشبيه لا مكان لها هنا)

١٢ ـ (.. مؤهل عالي) ص٢٠. والصحيح: عالٍ .

١٣ ـ (شركة .. تطلب رسامين أوتوكاد: خبرة عامان) ص٢٠.

والصحيح: ... رسامي أوتوكاد ـ خبرة عامين.

١٤ ـ (مساعد أول وزير العمل) ص٢١. والصواب: المساعد الأول لوزير العمل.

١٥ ـ وفي صفحتي الوفيات تطّرد عبارة: ينعي فلانا، للتعبير عن الحزن، وتعزية أهل الفقيد في فقيدهم، ومشاركتهم أحزانهم. كما نرى في العبارة التالية في الصفحة قبل الأخيرة: «مجموعة شركات المهندس... والمديرون وجميع العاملين ينعون الأستاذ...)

وهذا خطأ : لأن النعي لغة: الإخبار بالموت، سواء أبدي المخبر حزنا أمْ لم يبد. والنغي والنعيّ (بكسر العين وتشديد الياء) خبر الموت. قال أبو العلاء المعري.

وشبيه صوت النعيّ إذا قيس بصوت البشير في كل واد

والإعلان المنشور لا يخبر بموت الفقيد (فذلك تكفل به أهله في اليوم السابق، أو الأيام السابقة) والصحيح: يشاطرون أو يشاركون أهل الفقيد أحزانهم في وفاة...[1].

١٦ ـ وفي الصفحة الأخيرة إعلان كبير يشغل نصفها. والإعلان عن تليفزيون جولد ستار جاء فيه:

«صورة داخل صورة ـ سترى ماتشين في نفس الوقت.

تايمر تشغيل وإيقاف... غلقْ أوتوماتيكي»

وكلمة «ماتش» كلمة انجليزية match . وكان يجب أن يستبدل بها كلمة «مباراة» العربية. وكذلك كلمة تايمر Timer بمعنى (مؤقت). وهناك بعد ذلك خطآن:

الأول: في نفس الوقت. والصحيح: في الوقت نفسه.

والثاني: غلق أوتوماتيكي. والصحيح إغلاق أو انغلاق آلي لأن الفعل رباعي، ولم يستعمل في العربية ثلاثيا.

• • •

هذه الأخطاء التي التقطتها بسرعة من الإعلانات المنشورة في «الأهرام» إنما جاءت في عدد واحد فقط من هذه الصحيفة. مع ملاحظة ما يأتي:

١ ـ أن هذه الصحيفة تعد أنقى الصحف المصرية لغة، وأدقها تحريراً، وأقلها أخطاء، كما أنها تعد من أثرى الصحف العربية، وأوسعها انتشاراً، فهي تطبع ـ في وقت واحد ـ طبعة محلية، وطبعة دولية.

(١) جاء في لسان العرب: ونعى الميت ينعاه نعيا ونعيا: إذا أذاع موته، وأخبر به. وكانت العرب إذا قُتل منهم شريف. أو مات بعثوا راكبا إلى قبائلهم ينعاه إليهم. فنهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك ٦/٤٤٨٦ وفي أساس البلاغة: والنعي هو أصل المجاز في قولنا «نعى عليه هفواته إذا شهره بها» ٢/٤٦٠.

٢ ـ أنني لم أُدخل في الاعتبار ما جاء في أغلب الإعلانات من كلمات أجنبية كتبت بحروف عربية. وهذا في ذاته يعد إساءة بَالغة للغتنا القومية[١].

٣ ـ أن الأخطاء اللغوية والقاعدية في المادة الخبرية أغزر من أن تحصى.

● ● ●

وفي الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز تكثر الأخطاء والسقطات. وقد بلغت من الكثرة والغزارة حداً بشعاً، بحيث لم تعد تشد النظر، وكأنها هي الأصل، أما الصواب فهو الاستثناء. والخطأ في اللغة ليس مجرد خطأ في بنية الكلمة وضبطها الإعرابي «فهو سواء أكان داخل وسائل الإعلام، أو خارجها يفسد الفكر الوطني، ويعطل من قدرات الناس الذهنية»[٢].

وحتى المجلات المتخصصة في الأدب والمباحث اللغوية لم تسلم من هذه الأخطاء. وبعض هذه الأخطاء رسختها وسائل الإعلام، حتى أصبحت ـ لشهرتها ـ كأنها الصواب الذي لا يناقش. وسأعرض في هذه الصفحة، والصفحات التالية لقطوف من هذه الأخطاء التي جاءت في الأشكال الآتية:

١ ـ كلمات مفردة.

٢ ـ جمل وتراكيب.

٣ ـ حوار ومناقشات.

٤ ـ كلمات أجنبية.

ونعرض لما يمثل كل لون من هذه الألوان، وقبل ذلك أعرض ما التقطْتُه بنفسي، وأغلبه تعتمد استعادته على الذاكرة ـ دون الرجوع إلى مراجع ـ والصفة المشتركة

(١) كالذي نقرؤه في إعلان بالصفحة الأولى: شركة أكا انترناشيونال.
... قرية برنسيس كلوب ... أكاترافيل سيرفيس

(٢) د. محمد سيد أحمد: الإعلام واللغة ١٤.

بين هذه الأخطاء هي أنها أخطاء شائعة مشهورة، يقع فيها كثير من كبار الكتّاب لا عامة الكتّاب والإعلاميين فحسب، لذلك لا ضير إذا سميتها أخطاء الكبار:

أولا: أخطاء الكبار

١ ـ استعمال الفعل **أثرى** متعدياً، فيقولون « وقد أثرى العقاد المكتبة العربية بكثير من الكتب». مع أن هذا الفعل لم يستعمل في العربية إلا لازما: تقول: ثرى الرجلُ وأثرى الرجلُ، أي صار ثرياً.

٢ ـ استعمال الفعل **لفت** بمعنى شدّ وجذب، فيقولون: «لفت فلان انتباه الناس»، مع أنه لا يستعمل إلا بمعنى «صرف» وأبعد. قال تعالى على لسان قوم إبراهيم ـ عليه السلام ـ : ﴿**أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه آباءنا**﴾[1].

٣ ـ استخدام أسلوب الاستثناء بعد عبارة (على الرغم من)، فيقولون «وعلى الرغم من أنه لم يدرب التدريب الكافي إلا أنه حقق انتصاراً باهراً على خصمه» والصحيح أن نقول: «وقد أحرز انتصاراً.. على الرغم من أنه لم يتدرب...»

ولكن بقي أن نشير إلى أن العرب لم يستخدموا (بالرغم ـ وعلى الرغم) بهذا المفهوم[2].

٤ ـ استخدام **الأفعال**: استشهد. هرع. احتضر. توفي. زهي: مبنية للمعلوم. مع أنها مبنية للمجهول دائما.

(١) يونس ٧٨.

(٢) فقد جاء في لسان العرب ٣/١٦٨٢: الرغم ـ بتسكين الغين، وتشديد الراء مثلثة: الكرهُ والذلة والقسر والتراب. فتقول: سأفعل ذلك على رغم منك، أو أنفك راغم، أي على كره وإذلال وقسر.

ومما سبق يظهر خطأ الاستخدامات الحديثة لهذه المادة (حتى لو تبرأت من الاستثناء) مثل: ذهب إلى عمله على الرغم من أنه مريض. ومثل: أكرم صديقه على الرغم من إساءته. والصحيح: مع أنه مريض، مع أنه أساء إليه.

٥ ـ استخدام الفعل المبني للمجهول، مع أن الجملة فيها ما يدل على الفاعل مثل: «وقد وُوجهت القوات الصربية بمقاومة شديدة من القوة البوسنية المتمركزة في هذا الموقع».

فبناء الفعل للمجهول هنا عبث لغوي، لأن الفاعل مفهوم صراحة من السياق.

٦ ـ نفي الوجوب. والصحيح وجوب النفي. فيقولون «لا يجب على المواطن أن يغفل عن أعدائه». والصحيح «يجب على المواطن ألا يغفل عن أعدائه». لأن الجملة الأولى إن نفت الوجوب فإنها تتسع للجواز.

٧ ـ تعدية الفعل أكد بحرف الجر على، كقولهم «وقد أكد القائد على ضرورة تعاون الجميع...». والصحيح أن الفعل يتعدى بغير حرف الجر. فنقول «وقد أكد القائد ضرورة تعاون الجميع».

٨ ـ تكرار كلما في جواب الشرط. فيقولون: كلما زارني كلما أكرمته.

والصحيح: كلما زارني أكرمته.

٩ ـ دخول الباء على المأخوذ مع الفعل استبدل وتبدل.

فيقولون: «استبدلنا الخبيث بالطيب» يقصدون ترك الخبيث، وأخذ الطيب والعكس هو المقصود لأن الباء لا تدخل إلا على المتروك.

قال تعالى مُوبّخا بني إسرائيل: ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**﴾.

١٠ ـ استعمال الاعتذار لعكس ما يعتذر عنه، فيقولون: «اعتذر فلان عن حضور الاجتماع» والصواب: اعتذر عن الغياب، أو اعتذر عن عدم الحضور.

١١ ـ استخدام التنوين بدل القصر. فيقولون: «جاء خصيصا ليشهد المهرجان». والصواب: «خِصّيصىٰ»: فالكلمة منتهية بالألف المقصورة، وتكتب ياء لوقوعها رابعة، وليست الكلمة منتهية بصاد فتنون، والكلمة ممنوعة من الصرف ووزنها (فِعّيلَى)، والخصيصى معناها: الخصوصية.

١٢ ـ يقولون: «أمر هام» والصحيح «أمر مهم» لأن أصل الأول (همّ) بمعنى حاول. وأصل الثاني (أهمّ) أي: شغل. ونقول: أهمه الأمر: أي شغله وشد اهتمامه وفكره.

١٣ ـ إدخال (ال) على كل وبعض وغير. فيقولون:

ـ نجح الكل في الامتحان.

ـ أكرمت البعض من الحاضرين.

ـ فاه بالكلام الغير مناسب في هذا الموقف.

والصواب: نجح كل الطلاب ـ أكرمت بعض الحاضرين. ـ فاه بالكلام غير المناسب.

• • •

وقد نهض بعض العلماء لرصد الأخطاء التي وقعت فيها وسائل الإعلام (الصحف والراديو والتلفاز) عن طريق الكتاب والمذيعين، ويلحق بهؤلاء ضيوف البرامج المختلفة من أدباء وساسة وكّتاب وغيرهم. وكان نتيجة هذا الرصد عدداً من الكتب القيمة، بين يديّ منها:

١ ـ لغة الجرائد، للشيخ إبراهيم اليازجي.

٢ ـ أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين، للدكتور أحمد مختار عمر.

٣ ـ لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط، للدكتور إبراهيم الدرديري

٤ ـ الواقع اللغوي والهوية العربية، للدكتور أحمد سمير بيبرس

٥ ـ مستويات العربية المعاصرة في مصر، للدكتور سعيد بدوي.

• • •

وسأعرض بعض الأخطاء والسقطات التي هوى إليها الإعلاميون. ونهجنا في ذلك:

١ ـ الاعتماد على الكتب السابقة مصدرا أساسيا للمادة المعروضة، زيادة على ما التقطته بنفسي من الصحف والمجلات والإذاعة والتلفاز.

٢ ـ الاجتزاء ببعض ما جاء في هذه الكتب ـ وهو كثير جدا. ولكن هذا القليل يمثل نوعيات مختلفة، ألمعت إليها سابقا وهي: كلمات مفردة ـ جمل وتراكيب ـ حوار ومناقشات ـ كلمات وعبارات أجنبية. وقد عرضت من قبل لما أسميته بأخطاء الكبار. ونستكمل بقية النوعيات، بادئين بالكلمات المفردة التي تمثل اللون الثاني من الأخطاء بعد أخطاء الكبار.

• • •

ثانيا: المفردات

١ ـ إخصائي الجراحة

والصواب: اختصاصي الجراحة، أو المختص في الجراحة.

٢ ـ أُتُون الحرب.

والصواب: أَتّون : بفتح الأول وتشديد الثاني.

٣ ـ يصر على قول الشعر بدعوة أنه موهوب.

والصواب: بدعوى أنه موهوب.

٤ ـ الزهرة جُرم سماوي.

والصواب جِرم بكسر الجيم

٥ ـ ألقى في رَوْعه أنه يحبه.

والصواب: .. في رُوعه (لأن الروع بضم الأول هو العقل).

٦ ـ منظمة دَوْلية (بفتح وسكون)

والصواب: دُوَلية (بضم وفتح)

٧ ـ خسر مباراته (بكسر التاء)

والصواب: مباراتَه (بفتح التاء)

٨ ـ نقدم حلْقة (بتسكين اللام)

والصواب: حلَقة (بفتح اللام)

٩ ـ فلان أُلْعوبان.

والصواب: أُلْعُبان.

١٠ ـ فلان زئر نساء.

والصواب : زير نساء.

١١ ـ كتب عاموداً.

والصواب: كتب عموداً.

١٢ ـ الدولتان العظمتان.

والصواب : الدولتان العظميان.

١٣ ـ تنتشر قوات مختلَطة (بفتح اللام)

والصواب : مختلِطة (بكسر اللام).

١٤ ـ من المتعذَّر أن أقابلك.

والصواب: من المتعذِّر (بتشديد الذال وكسرها)

١٥ ـ الدولة تَحكم قبضتها.

والصواب: تُحكم (بضم التاء).

١٦ ـ الكويت تَدين العدوان.

والصواب: تُدين (بضم التاء)

١٧ ـ .. والرئيس يَشيد بجهود العمال.

والصواب: يُشيد (بضم الأول)

١٨ ـ وأخذ يَنحي باللائمة عليه.

والصواب: يُنحي (بضم الأول).

١٩ ـ مُلفت للنظر.

والصواب: لافت للنظر[١].

٢٠ ـ من الآن وحتى الخامسِ عشر من أكتوبر

والصواب: الخامسَ عشرَ (بفتح الجزئين)

٢١ ـ في أجزاءَ عديدة من الوطن.

والصواب: أجزاءٍ (بجر الآخر)

٢٢ ـ ليسوا أعضاءَ في النادي.

والصواب: تنوين أعضاءً (لأنها مصروفة)

٢٣ ـ مرأى. مسعَى. منأى (بلا تنوين).

والصواب: أن تنون هذه الكلمات وأمثالها.

٢٤ ـ من حقها وحدِها (بكسر الدال).

والصواب : وحدَها (لأنها منصوبة دائماً إلا في عبارة واحدة هي: (نسيج وحدِه)

٢٥ ـ .. من حيث طرحِ المشكلة.

والصواب: طرحُ (بالرفع لا الجر)، لأن حيث لا تضاف إلا لجملة، وتعرب كلمة طرح مبتدأ حذف خبره، والجملة في محل جر مضاف إليه.

٢٦ ـ من الآن فصاعداً.

والصواب: الآن (بفتح النون لا كسرها)

٢٧ ـ لم يتعداها

(١) سبق أن ذكرنا أن الفعل (لفت) يستعمل خطا بمعنى شد وجذب مع أنه يفيد عكس هذا المعنى، وهو: صرف وأبعد.

والصواب: لم يتعدَّها.

٢٨ ـ لم تواتيه الفرصة.

والصواب: لم تواتِه الفرصة.

٢٩ ـ برنامج أماني وأغاني.

والصواب : برنامج أمانٍ وأغانٍ.

٣٠ ـ والضحايا ربما يكونوا قد غرقوا.

والصواب ـ يكونون

٣١ ـ أما المستمع فلان بعث يسأل.

والصواب : فقد بعث يسأل. أو: فبعث.

٣٢ ـ كان ذا رأس صلعاء.

والصواب: رأس أصلع.

خمسون ألف رأس نووية.

والصواب: نووي.

٣٤ ـ أصيب برصاصة في فخذه الأيسر.

والصواب: اليسرى.

٣٥ ـ ذو كبرياء كاذب.

والصواب: كاذبة.

٣٦ ـ ماكينة طباعة ألماني.

والصواب ألمانية.

٣٧ ـ في النشرة الانجليزي.

والصواب: الإنجليزية.

٣٨ ـ نزلت إحدى المستشفيات.

والصواب: أحد المستشفيات.

٣٩ ـ تطور العلاقات إلى المستوى التي هي عليه اليوم.

والصواب : الذي هي عليه.

٤٠ ـ إغلاق المحطتين النوويتين التي تقع إحداهما..

والصواب: اللتين تقع إحداهما.

٤١ ـ يفتتح الرئيس سوق القاهرة الدولية، والتي تقام بأرض المعارض.

والصواب: حذف الواو (الدولية التي)

٤٢ ـ أجمع معظم المعلقين على هذه الحادثة على...

والصواب: يرى أكثر أو معظم المعلقين (لأن الإجماع يستغرق كل المعلقين لا معظمهم).

٤٣ ـ كذلك ثمة شعورٍ متزايد بأن...

والصواب: شعورٌ (بالضم لا الكسر) لأن (ثمةَ) ظرف مكان بمعنى (هناك)، وما بعدها مرفوع على الابتداء.

٤٤ ـ .. ليس ثمة هناك ما يدعو إلى القلق..

والصواب : حذف أحد الظرفين: ثمة أو هناك.

٤٥ ـ العشرينات ـ الثلاثينات ... إلى التسعينات.

والصواب: العشرينيات... إلى : التسعينيات[١].

٤٦ ـ نما إلى علمي

(١) قرار المجمع اللغوي بالقاهرة: الفاظ العقود يجوز أن تجمع بالألف والتاء إذا ألحقته بها ياء النسب.

والصواب: نَمَى إلى علمي (لأن الألف مبدلة عن ياء، وليس عن واو ومضارعها يَنْمي).

٤٧ ـ في تقدم مضطرد.

والصواب : مطّرد.

٤٨ ـ وإيزاء هذا التصرف.

والصواب : إزاء.

٤٩ ـ سلّمه مظروفاً يضم لائحة الدستور.

والصواب: سلمه ظرفاً، لأن المظروف هو ما بداخل الظرف.

٥٠ ـ كان الحضور قاصراً على أصحاب الدعوات.

والصواب: مقصوراً

٥١ ـ انخفضت أسعار البترول إلى أقصى معدل لها.

والصواب: أدنى معدل.

٥٢ ـ تحقق من الأمر بنفسه.

والصواب: تحقق الأمر بنفسه (لأن الفعل متعدٍّ بذاته دون حرف جر)

٥٣ ـ تداول القضاة في الأمر.

والصواب: تداول القضاة الأمر (لأن الفعل متعدٍّ بنفسه).

٥٤ ـ ألف عشرين كتاباً عدا مئات المقالات.

والصواب : بالإضافة إلى مئات المقالات.

٥٥ ـ لن يحقق طموحاتنا سوى نحن.

والصواب: إلا نحن أو لن يحققها سوانا (لأن ما بعد سوى يكون مضافا إليه، ومن ثم لا يصح إيقاع ضمير الرفع بعدها).

٥٦ ـ لا حلا عسكريا للنزاع.

والصواب : لا حل عسكريا للنزاع.

٥٧ ـ انصاع لمشورته.

والصواب: انقاد لمشورته، أو أطاع مشورته.

٥٨ ـ ينبغي عليك أن تفعل كذا.

والصواب: ينبغي لك[(١)].

٥٩ ـ فعلت هذا لصالح فلان.

والصواب: .. لمصلحة فلان.

٦٠ ـ حافّة الوادي (بتشديد الفاء).

والصواب: حافة (بتخفيفها)

٦١ ـ هو وريث فلان.

والصواب: وارث

٦٢ ـ اقتصد كذا من المال.

والصواب: ادخر (لأن الاقتصاد هو الاعتدال)

٦٣ ـ هم في حاجة إلى الغذاء والكساء.

والصواب: الكُِسى (بكسر الكاف وضمها. لأن الكساء ثوب بعينه يشبه العباءة والثانية جمع كُِسْو: بضم الكاف وكسرها، وتسكين السين : وهو كل ما يُكتَسَى).

٦٤ ـ قرأت هذا في صحيفة كذا من الكتاب.

والصواب: في صفحة كذا. (لأن الصحيفة هي الورقة بوجهيها)

---

(١) قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر....﴾ يس٤٠.
وقال تعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾. يس ٦٩.

٦٥ ـ فوضت فلانا بأمر، وفي الأمر.

والصواب: فوضت الأمر إلى فلان.

٦٦ ـ عرض له كذا فاندهش وانذهل.

والصواب: دَهِش (من باب تَعِبَ) وذَهَل (من باب مَنَحَ).

٦٧ ـ حرمه من الشيء..

والصواب: حرمه الشيء

٦٨ ـ هؤلاء أخصامي.

والصواب: هؤلاء خصومي

٦٩ ـ هذا أمر يأنفه الكريم.

والصواب: يأنف منه.

٧٠ ـ هو مدمن على المخدرات.

والصواب: مدمن مخدرات (لأن الفعل أدمن يتعدى بنفسه)

٧١ ـ هلّ شهر يناير.

والصواب: بدأ شهر يناير. لأن هلّ تعني ظهور الهلال. وهذا لا يكون إلا للشهور العربية.

٧٢ ـ فلان من ذوي الأمجاد.

والصواب: فلان من ذوي المجد. (لأن المجد مصدر، والمصدر لا يجمع. كما أن الأمجاد جمع مجيد).

٧٣ ـ قوم أغراب (جمع غريب).

والصواب: قوم غرباء.

٧٤ ـ فتش على الشيء.

والصواب: فتش عن الشيء.

٧٥ ـ واروا الميت في التراب.

والصواب: واروا الميت التراب

٧٦ ـ زُف فلان على فلانة.

والصواب: زُفت فلانة إلى فلان.

٧٧ ـ رضخ فلان لفلان.

والصواب: أذعن أو انقاد فلان (لأن الرضخ كسر الشيء اليابس: رضخ الجوزة. رضخ رأس الحية، ويقال: رضخ له من ماله: إذا أعطاه عطاء يسيرا).

٧٨ ـ زرع الشجرة.

والصواب: زرع الحب، وغرس الشجرة.

٧٩ ـ سارت به المركب.

والصواب: سار به المركب.

٨٠ ـ أمكن له أن يفعل كذا.

والصواب: أمكنه أن يفعل..

٨١ ـ زيد شاعر كما وأنه كاتب.

والصواب: زيد شاعر كما أنه كاتب.

٨٢ ـ يسرني بأن يكون فلان كذا.

والصواب: يسرني أن يكون فلان..

٨٣ ـ أخنىٰ عليهم الدهر بكلكله.

والصواب: أناخ عليهم.. لأن أخنى معناها: أهلك. والكلكل الصدر.

٨٤ ـ الذين لا ذمة لهم ولا ذمام.

والصواب: الاكتفاء بالذمة أو الذمام، لأنهما بمعنى واحد.

٨٥ ـ هم الصيّاغ والسوّاح.

والصواب: هم الصواغ والسياح.

٨٦ ـ هو من أهل الحماس.

والصواب: الحماسة.

٨٧ ـ دخلت فإذا زيد خرج.

والصواب: .. فإذا زيد قد خرج.

٨٨ ـ هل ستفعل كذا؟

والصواب: هل تفعل كذا. (لأن هل إذا دخلت على المضارع خصصته للاستقبال فلا تجتمع مع السين).

٨٩ ـ أخذ الشيء بأكمله.

والصواب: أخذ الشيء بكماله.

• • •

ثالثاً: الجمل والتراكيب

١ ـ جامعة القاهرة تبحث استعدادات بدء العام الدراسي بعد غد.

والصواب: جامعة القاهرة تبحث بعد غد استعدادات بدء العام الدراسي.

٢ ـ قال الملك الحسن: إن الرئيس صدام حسين قد نجح في الربط بين القضيتين الكويتية والفلسطينية. وذلك في خطابه الذي ألقاه في الرباط.

والصواب: قال الملك الحسن في خطابه الذي ألقاه في الرباط: إن الرئيس صدام حسين قد نجح...

٣ ـ عرفات يتوقع ضربات انتقامية للفلسطينيين في الدول العربية.

والصواب: عرفات يتوقع.. ضد الفلسطينيين (لأن هذه العبارة من مقال يتحدث عن إعداد إسرائيل لعمليات عسكرية ضد كل من تونس والجزائر ... إلخ).

٤ ـ رب ضارة نافعة، ورب مأساة النظام العراقي تجعل قادة العرب والشعوب العربية تستيقظ من سباتها.

والصواب: ... ورب مأساة كمأساة النظام العراقي تجعل قادة العرب. (لأن مجرور رب يجب أن يكون نكرة).

٥ ـ يجب علينا التمسك به (فلان) إلى آخر رمق من حياتنا التي نفديها عن طيب خاطر فداء له.

والصواب: ... التي نقدمها عن طيب خاطر... (لأن العبارة توحي بعكس المقصود).

٦ ـ وكل عمارة من هذه العمارات عبارة عن خمسين حجرة.

والصواب: وكل عمارة... تنقسم إلى خمسين حجرة، أو تتكون من خمسين حجرة.

٧ ـ انظر إن كان زيد في داره وسلْه إذا كان الأمر كذا...

والصواب: انظر هل زيد في داره، وسله هل الأمر كذا.

٨ ـ بعث برسول إلى فلان، وبعث إليه بهدية.

والصواب: بعث رسولا إلى فلان، وبعث إليه بهدية.

(لأن ما ينبعث بنفسه كالرسول تقول بعثته. وما ينبعث بغيره كالهدية تقول بعثت به، فيتعدى الفعل إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بالباء).

٩ ـ هنأ القادم بسلامة الوصول.

والصواب: هنأ القادم بوصوله سالماً.

● ● ●

رابعا : الحوار والمناقشات

يرى الدكتور سعيد بدوي[1] أن كل مجتمع لغوي متكامل توجد فيه خمسة مستويات من اللغة. هي ـ على وجه الحصر:

١ ـ فصحى التراث: وهي فصحى تقليدية غير متأثرة بشيء نسبياً.

٢ ـ فصحى العصر: وهي فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص.

٣ ـ عامية المثقفين: وهي عامية متأثرة بالفصحى وبالحضارة معاً.

٤ ـ عامية المتنورين: وهي عامية متأثرة بالحضارة المعاصرة.

٥ ـ عامية الأميين: وهي عامية غير متأثرة بشيء نسبياً: لا بالفصحى، ولا بالحضارة المعاصرة.

وهذه المستويات اللغوية الخمسة توجد في مصر بوصف كونها مجتمعاً لغويا متكاملاً. والمجتمع اللغوي المتكامل «هو المجتمع أو الجماعة الإنسانية التي تعيش عن قرب، وتتحقق لديها جميع المستويات اللغوية»[٢]، فالقاهرة مثلا تعد مجتمعاً لغويا متكاملاً.. على العكس من بعض القرى، فقد توجد قرية نائية محدودة العدد، ليس لأهلها حظ يذكر من التعليم العام، وأهلها لذلك يستخدمون في محادثاتهم ـ داخل القرية وخارجها، في المناسبات القليلة التي يغادرونها فيها ـ نوعا واحدا من العامية.. فهي إذن لا تمثل مجتمعاً لغويا متكاملا[٣].

● ● ●

واعتمادا على هذا التقسيم وذاك التحديد، وبعد استقراء طويل لمعروضات الإذاعات والتلفاز، وما أبرزه كذلك مؤلف الكتاب ـ نخرج بالحقائق الآتية:

(١) مستويات العربية المعاصرة في مصر ٨٩.

(٢) بدوي: السابق ٥٣.

(٣) السابق: الصفحة نفسها.

١ ـ أن فصحى التراث تمثل نسبة ضئيلة مما يقدم، فهي لا تستخدم إلا في البرامج الدينية، وكذلك في بعض التمثيليات الإسلامية والعربية التاريخية. وما يأتي على ألسنة بعض الشخصيات في التمثيليات الفكاهية على ألسنة مدرس التربية الدينية، ومدرس اللغة العربية والمأذون، وما ذلك إلا على سبيل السخرية واللهو[١].

٢ ـ أن فصحى العصر ـ مجالها أوسع كثيراً من مجال المستوى السابق، كما نرى في نشرات الأخبار والتعليقات السياسية والأحاديث العلمية والأدبية[٢].

٣ ـ أن عامية المثقفين أصبحت واسعة الانتشار، وهي اللهجة المستخدمة في الحوارات الأدبية والثقافية مع العلماء والنقاد والأدباء، والتي كان يجب أن تدار بالعربية الفصحى[٣].

٤ ـ أن عامية المتنورين يستخدمها غير الأميين عموماً في أمور الحياة العملية من بيع وشراء وشؤون الأسرة.

٥ ـ أما عامية الأميين فهي التي تستخدمها الطبقات الدنيا من الشعب، أو من يطلق عليهم في مصر: أولاد البلد[٤].

• • •

فإذا ما تركنا الفصحى التراثية إلى فصحى العصر، وخصوصا تلك التي يستخدمها المذيعون والمذيعات اكتشفنا إساءات بالغة للفصحى. ونسوق هذا المثال من برنامج كان يقدم في إذاعة القاهرة بعنوان: (تسالي)[٥].

مذيع : عزيزي المستمعْ / مساءِ الخِيْر.

---

(١) اعتمدت في هذه المعلومة على مشاهدتي للتلفاز المصري.

(٢) انظر: بدوي: السابق ٩٠.

(٣) يقول الدكتور سعيد بدوي: «امتدت هذه اللغة إلى مدرجات الجامعة، وكادت تصبح الآن الوسيلة الوحيدة للتعليم والمناقشة» السابق ٩١.

(٤) انظر: المرجع السابق ٩١.

(٥) نقلا عن المرجع السابق ١٤٧. علما بأن ما بين القوسين هو الصواب.

مذيعة: من هو أولْ / رَقُل (رجل) سار في الفداءْ (الفضاء)

مذيع: الحلِّ الصحيحْ. بين هؤلاء الثلاثة.

مذيعة: جون جلين.

مذيع : لكسي لينوف.

مذيعة: فيرجبل جريسو.

مذيع: صديقي المستمعْ / ما هو عدد القمهوريات (الجمهوريات) التي يتكون منها الاتحاد السوفييتي؟

مذيعة: هل عدد القمهوريات (الجمهوريات) / خمسةْ (خمس)/؟ أو خمستاشر (خمس عشرة)؟ / أو ثلاثةْ وعشرين؟ (ثلاث وعشرون)؟

مذيع : في آخر هذه الحلْقهْ / سوف نقدمْ / لك الإجابة / على هذين السؤالين.

مذيعة: ابتسمْ، من فدْلَك (من فضْلِك) وقفتْ / المهندسةْ / الممتازةْ في عملها / أمام مدير المصنعْ / وتلبت (طلبت) بزيادة (زيادة) مرتبها / فابتسم مدير المصنع، وقال في هدوء: /

مذيع: إن مرتبك اليوم / أعلى مرتب / زميلك المهندس / مع أنه / له خمسة أولاد / ومع ذلك / لم يطلب زيادة مرتبه /

مذيعة : فقالت المهندسة. لقد كنت أظن / أن مرتباتنا / تدفع لنا / من أجل إنتاجنا العملي في هذا المصنع / لا من أجل إنتاجنا في المنزل.

• • •

وهذا الحوار ـ كما هو واضح ـ مثقل بالمآخذ والعيوب:

١ ـ فمضمونه تافه، ومعالجته سطحية إلى أقصى حد.

٢ ـ والنكتة الأخيرة لا تثير الابتسام، بل إنها تخدش الحياء، وقد تثير الغثيان.

٣ ـ أغلب الوقفات غالطة، وتسكين أواخر الكلمات حيلة واضحة للهروب من الوقوع في أخطاء الضبط، مع أن هذا التسكين يعد ـ في ذاته ـ خطأً إعرابيا.

٤ ـ والأخطاء اللغوية والنحوية والنطقية غزيرة جدا، وقد صوبنا بعضها وتركنا أخطاء الضبط بلا تصويب لأن ذلك يدفعنا إلى كتابة الحوار كله من أوله إلى آخره.

ومن نماذج عامية المثقفين ما قدمته صفية المهندس ـ وهي من أشهر المذيعات المصريات وأقدرهن ـ من حديثها (ربات البيوت):

ربات البيوت ما اكتفوش بكده / (أي لم يكتفين بهذا). بل نظموا (نظمن) من بينهم (بينهن) مجموعات للطواف على كل المستشفيات الريفية / والصغيرة / واللي ما فيهاش مولد للكهرباء (التي ليس فيها مولد للكهرباء). والمعاونة بأي سبيل لإنارة غرفة العمليات / حتى لا تتعرض حياة المرضى للخطر[1].

• • •

ونقدم نموذجاً لعامية المتنورين، وهو جزء من برنامج «سينمانيات» لكمال الملاخ، ودار الحديث فيه بينه وبين الممثلة سميرة أحمد على النحو التالي:

الملاخ: مساء الخير / ضِيفتْنا الليلهْ حتتكلم / غريبهْ / مع أنها كَنِتْ خرْصَهْ / أو / الإسم اللي اشتهرت بيه / كانت بَطَلتْ فلْم الخَرَصهْ / ولو شفوها / الناس في الشارع / يؤولوا الخرصهْ أهه /

سميرة: سميرة أحمد.

الملاخ: سميرة / إنتي.. / بتبني خرصة في البيت؟

سميرة: مأأدرش.

الملاخ: أو حتِبْنِي هَدْيَهْ دِلْوأتي؟ /

---

(١) عن بدوي: السابق ٢٨.

سميرة: لأهْ / يعني زي مانْتَ عايز... / أكون حكون / يعني خرصة أو أكَلّم / اللي أنت عيزو / وممكن أكون عَمْيَه كمان /

الملاخ: مسّلتى (مثّلت) دور العميه؟

سميرة: مسّلت عمْية خمس ... /خَمَس أفلام.

الملاخ: على كل حال هيّ قدرة / من الفنان / أنّو يمسّل / أي شخصية / يعجز الإنسان العادي / أنّه ينوم بيها[1].

● ● ●

وأعتقد أن القارئ العربي سيجد صعوبة كبيرة في فهم هذا الحوار الذي يمثل عامية المتنورين، لذا أجد من الضروري أن أترجمه إلى العربية الفصحى.. الفصحى العصرية:

الملاخ: مساءُ الخير: ضيفتنا الليلة ستتكلم!! غريبة!! مع أنها كانت خرساء، أو هو الاسم الذي اشتهرت به، كانت بطلة فيلم «الخرساء»[2]. ولو رآها الناس في الشارع لقالوا: ها هي ذي الخرساء.

سميرة: سميرة أحمد.

الملاخ: سميرة: هل تكونين خرساء في البيت؟

سميرة: لا أستطيع (لا أقدر).

الملاخ: أم ستكونين هادئة الآن؟

سميرة: سأكون كما تريد. سواء أأردتني خرساء أم ناطقة، ومن الممكن أن أكون عمياء أيضا.

الملاخ: هل مثّلتِ دور العمياء؟

سميرة: نعم. مثّلتُ دور العمياء في خمسة أفلام.

(١) عن السابق ١٨٧.

(٢) لسميرة أحمد فيلم باسم: الخرساء.

الملاخ: على أية حال هذه قدرة من الفنان أن يمثل أية شخصية يصعب على الإنسان العادي أن يقوم بها (يمثلها) (يؤديها).

• • •

ويمثل عامية الأميين النص التالي من الإذاعة المصرية على لسان (أبو سيد) زوج (بمبة) في برنامج اسمه (نوادر خالتي بمبة):

أعمِل ايه يا ناس في السّت بنبة مراتي! / احْتَرت معاها واحتار دليلي / أي والله! / أنتو عارفين إن الإرش لبْيض ينفع في اليوم لسْوِد. والواحد لازم يشيل من إرادُه / لوَأت عُوزه / ينفعه - لا أدّر الله - في مرض / ولّا في ظرف شديد / ولّا حاجة من كده / والعائل. هوّ اللي يعمل حساب بُكرَة. لكن بَاه السّت مراتي بنبه / الله يسامحها ويغفر لها / مش عايزه كده»[1].

• • •

وأيضا أجد من اللازم ترجمة هذا النص إلى العربية الفصحى ... الفصحى الميسرة... أو العصرية:

«كيف أتصرف مع زوجتي السيدة بمبة؟ لقد أصبحت حائراً تجاه تصرفاتها، أي والله! أنتم تعلمون أن ما يدخر في الرخاء ينفع في الشدة والأزمات. وعلى الإنسان أن يقتطع جزءاً من دخله لوقت الاحتياج. كأن ينتفع به في علاج مرض يصيبه - لا قدر الله - أو ظرف شديد يمرّ به، أو أمر من هذا القبيل. والعاقل هو من يعمل حساب الغد، ولكن زوجتي السيدة بمبة - سامحها الله، وغفر لها - لا تريد ذلك»

وها هي ذي ترجمة بعض المفردات:

إيه : لماذا - الست : السيدة - أنتو : أنتم...

الإرش: القرش (إشارة إلى العُملة) - لَبْيض: الأبيض.

(١) عن بدوي: السابق ١٩٠.

لِسْود: الأسود ـ إراده: إيراده (دخله).

أدّر: قدّر. حاجة من كده: أمر من هذا النوع.

العائل: العاقل ـ بَأهْ: بقى ـ عايزة: طالبة.

خامسا: الكلمات الأجنبية

وبعد هذه النماذج التي قدمناها آنفاً، بقيت ظاهرة خطيرة جدا وهي «تسلل الكلمات الأجنبية» إلى لغة وسائل الإعلام. وبتعبير أدق: استدعاء العاملين بالإعلام من صحفيين ومذيعين للألفاظ الأجنبية واستخدامها فيما يذيعون وخصوصاً البرامج الحرة غير المقيدة، أي غير المكتوبة، وهي التي تعتمد على الحوار والمناقشات العفوية التلقائية.

ولو كانت هذه الكلمات تمثل مصطلحات علمية لقلنا: ربما رجع السبب إلى المجمع اللغوي الذي لم يترجم أو يعرب هذه المصطلحات، أو لقلنا: فلنلتمس العذر لهؤلاء، فثمة احتمال مؤداه أنهم لم يطّلعوا على أعمال المجمع، إن كان المجمع قد قام بترجمة هذه المصطلحات، أو تعريبها.

ولكن المؤسف حقا أنها كلمات وعبارات عادية من لغة التعامل، ولها في العربية مقابل أو أكثر من مقابل. ولا أستطيع أن أفسر ذلك إلا بأنه من رواسب «عقدة الخواجة»، وأن وراءه شعوراً بالنقص والإفلاس اللغوي، مما دفع المتحدث إلى أن يفزع إلى بعض الكلمات الأجنبية للتغطية عليه، ولإيهام الآخرين بأهمية ذاته.

ومن مشاهداتي الخاصة لمتحاورين في التلفاز المصري[1] ـ وكان الموضوع عن الكتاب والمكتبات الجامعية ـ أنقل العبارات الآتية على لسان أحد الأساتذة الكبار:

ـ .. والمكتبات الجامعية عندنا الوقتي.. حاجة تكسف فرى بور very poor.

(١) أكتب معتمدا على الذاكرة، وللأسف لا أتذكر التاريخ بالتحديد، وإن كان ذلك من أربع سنين. وأتذكر أسماء المتحاورين، ولكن لا أجد داعيا لذكرها حتى لا يفسر ذلك بأنه لون من التشهير.

- تسألني عن الحل؟ أؤول لك « أقول لك» الحل الحنياه «الحقيقة» very easy .. مش مشكلة.

- لكن الـ Level مش هوَّهْ.

• • •

وفي برنامج عن السياحة في التلفاز المصري[1] استضيف فيه شخصية فنية كبيرة - كان حوارًا التقطت منه هذه العبارات: - بلاجات مصر ممتدة - والحمد لله - من الغرب للشرق، ومن الشمال للجنوب. والعريش beach بالذات كل شيء فيه blue: سَمَا ، ومَيَّهْ (أي سماء وماء).

والرملة؟

- لأ .. الرملة بيضة.. ونقية

• • •

وقلت لنفسي - في أسى - لا حول ولا قوة إلا بالله: أخَلَتْ لغتنا من الكلمات الآتية:

- فقيرة جدا
- الحل سهل للغاية
- المستوى
- الشاطئ
- الأزرق - والزرقة - والزرقاء

حتى يلجأ هذا المفكر الكبير إلى اللغة الانجليزية مقترضاً؟ وأكرر القول: إنها بقايا «عقدة الخواجة» والشعور بالنقص والإفلاس اللغوي.

• • •

(١) كان ذلك من عامين تقريبا.

ولا عجب أن تستشري هذه الظاهرة في وسائل الإعلام عند الصحفيين والمذيعين ورجال الفكر، لأنها انعكاس منكود لما يدور ويروج في جامعاتنا، ومعاهدنا العلمية. يقول الدكتور أحمد بيبرس:(١)

إن الهجمة شرسة على لغتنا في معاهدنا العلمية، وبدون أن ندري شاعت كلمات أجنبية ترددها الألسن.. ففي مجالس الأقسام، وفي قاعات الدراسة، وبين الأروقة، وفي المدرجات يتردد كم هائل من الكلمات استمعنا إليها، وسجلنا طائفة منها، وفي مجال الدراسة كانت لنا هذه العينة:

Encyclopedia - Seminar - Course - Intensive Course - Ordinary course - Standard and Level - Team work - Paper - Slides - Chapter or Paragraph - Style - Test - Order - Permisson - Tension - Interested - Harmony - Impression - Maximum - Minimum

ومعناها على الترتيب: دائرة المعارف - حلقة بحث - مقرر - مقرر مكثف - مقرر عادي - مستوى - فريق عمل - مقالة أو بحث - شرائح مصورة - فصل أو فقرة - أسلوب - اختبار - أمر - إذن - توتر - راغب أو مهتم - تناغم - انطباع - حد أعلى - حد أدنى(٢).

• • •

وفي الصحف كثيراً ما نقرأ مثل الكلمات الآتية، وهي النطق العربي لكلمات أجنبية:

ريبورتاج Reportage بدلا من تحقيق صحفي أو تحقيق مصور.

مانشيت Manchette بدلا من : العنوان الكبير.

جورنال Journal بدلا من صحيفة

(١) الواقع اللغوي والهوية العربية.

(٢) أحاول في عرضي لهذه الظاهرة أن أكون في نطاق وسائل الإعلام بقدر المستطاع لأن الظاهرة تحولت إلى مرض أصاب لغة المجتمع العام في الأندية والحفلات ودوائر المثقفين والأسواق والمعاملات. مما يحتاج إلى دراسات أوسع مدى.

فيتو Veto بدلا من : حق النقض

كامب Camp بدلا من : مخيم

كاميرا Camera بدلا من: آلة تصوير[1].

● ● ●

ويكثر مثل ذلك في الإعلانات المنشورة في الصحف[2]. وقد يكون الإعلان من أوله لآخره باللغة الإنجليزية في صحيفة عربية، لا يقرؤها الأجانب، مثل هذا الإعلان الذي نشر في جريدة الأهرام بتاريخ ٦ من نوفمبر ١٩٨٧. ونصه:

Vito
"Vito's" is back
Now open every night
From 5 p.m. to 1 a.m.
The place where you can drink
Eat, dance, and have a Glorious time
For Reservation call 2425155
Hayatt El-salam Cairo

● ● ●

ومثل هذه الكلمات الأجنبية في الإعلانات التلفازية أكثر من أن تحصى، وقد يكون الإعلان كله أحيانا باللغة الإنجليزية مع أنه يخاطب عرباً لا أجانب، كهذا الإعلان الذي يكرر على شاشة التلفاز المصري من عدة سنوات. وما زال يذاع حتى الآن، ويحفظه الأطفال الصغار:[3]

"Just one Maccroni, Maccroni Noor"

● ● ●

(١) انظر: بيبرس: مرجع سابق ٣٤.

(٢) ارجع إلى ص١٠٢ إلى ص١٠٤ من هذا البحث.

(٣) انظر: بيبرس: مرجع سابق ١٠٣.

وأخيرا: التلفزيون والقراءة

وأخيراً نسأل: هل للتليفزيون أثر على عادة القراءة؟ هل كان عاملاً يدفع إلى القراءة؟ أم عاملاً يصرف عنها؟

في بحث ميداني قيّم عرض أحد الباحثين[١] لأثر مشاهدة التليفزيون على عادة القراءة عند الأطفال، وقد عرض بعض النتائج التي توصل إليها عدد من الباحثين والعلماء مثل كين دي وايت الذي يرى أنه مما يعطل الميل إلى القراءة وجود التليفزيون وبرامجه، والدليل على ذلك الدراسات التي قام بها فريق من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٨٩م، مفادها أن مشاهدة التلفزيون تعطل ملكة القراءة عند الأطفال، ومن ثم تعطل ملكة التفكير أيضاً، وهذه النتائج أصبحت مقبولة لدى عدد من المعاهد في العالم[٢].

ومن الدراسات القيمة في هذا المجال دراسة العالمين أندرسون وكولن سنة ١٩٨٨، وقد قدمت هذه الدراسة لمكتب التربية الأمريكي القومي حول تأثير مشاهدة التليفزيون على الأطفال في مدينة بولاية أيوا في أمريكا لم تعرف التليفزيون من قبل، ثم عرضوا للتليفزيون، وقاما بمقارنة نشاطات الأطفال قبل مشاهدة التليفزيون، وبعدها. وأشارت البيانات إلى أن مشاهدة التليفزيون حلت محل نشاطات أخرى كاللعب والقراءة. وقد وجد هذان الباحثان دراسات متعددة تؤيد ما توصلا إليه[٣].

---

(١) هو الدكتور راشد الفضلي في بحثه: أثر مشاهدة التليفزيون على عادة القراءة عند الأطفال.

(٢) د. راشد الفضلي: في كتابه السابق ٢٣.

(٣) السابق ٢٤.

وأسهم وزير الثقافة الفرنسي سنة ١٩٩١ إسهاما جيداً في هذا الصدد محذراً من تدني مستوى القراءة عند الفرنسيين، موضحاً ذلك بأن (١) من كل (٤) فرنسيين لا يقرأ، ولا يقتني كتاباً واحداً، وأن سبب ذلك هو الإدمان على مشاهدة التليفزيون[١].

وتؤكد هالة العمران وكيلة وزارة الإعلام والثقافة بدولة البحرين في بحث نشر سنة ١٩٨٣ ـ بعد دراسة واستقراء ـ أن الطفل البحريني يقضي ما بين أربع إلى خمس ساعات يوميا أمام التلفاز، وأن ما يتعلمه عادات خاطئة[٢].

ومعظم القيادات التربوية الأمريكية تعتقد أن المسبب لاضمحلال عادة القراءة عند الأطفال هو مشاهدة التليفزيون. وهذا ما أكده سنة ١٩٩١ وليام هوينج المشرف على الشؤون التعليمية في ولاية كاليفورنيا من خلال الدراسة التي أجريت لتحديد خطر هذا الجهاز على طلاب التعليم الأساسي، وذلك بأن الطلاب يفضلون مشاهدة التليفزيون على قراءة الكتب، وأن نسبة ٦٩٪ من طلاب الصف الرابع يقومون بقضاء معدل ثلاث إلى أربع ساعات يوميا أمام الشاشة الفضية[٣].

ومما سبق من الحقائق والإحصاءات يتبين لنا أن التلفاز يمثل قوة عاتية لصرف الأطفال والناشئة عن القراءة، وعن وجوه أخرى من النشاط النافع.

● ● ●

هذه هي وسائل الإعلام: يدٌ مع اللغة العربية، ويدٌ على اللغة العربية. وللأسف لم تكن اليدان في قوة متكافئة أو حتى متقاربة، فقد كانت اليد الـ (عَلَى)، أو اليد الضاربة أقوى بكثير جدا من اليد الـ (مَعَ)، أو اليد الحامية البانية. لأن «اليد الضاربة» يساندها رصيد ضخم من عاميات إعلانات الشوارع، ولغة الأسواق والتعامل، وطرائق التعليم ومقرراته ومناهجه، لا في المواد العلمية فحسب بل كذلك

(١) السابق ٢٤.
(٢) السابق ٢٤.
(٣) السابق ٢٧.

في تقديم دروس اللغة العربية، وشرحها في فصول الدراسة، وشرح دروس التربية الدينية، في كل مراحل التعليم، وأصبحت العامية في شرح الدروس هي الأصل، أما العربية الفصحى فهي الاستثناء، حتى أن المدرس الذي يلتزم الفصحى في شرح دروسه أصبح نادر الوجود الآن[١].

• • •

هذه هي الحال المنكودة الموكوسة التي تعيشها اللغة العربية في وقتنا الحاضر لأسباب متعددة أهمها «وسائل الإعلام»:

- التليفزيون يصرف الأطفال والناشئة عن القراءة، وعن أوجه نشاط أخرى مفيدة.

- أخطاء لغوية ونطقية وقاعدية في فصحى الإعلام أو ما يسمى باللغة الإعلامية.

- عامية غالبة طاغية في الإذاعة والتلفاز بصفة خاصة.

- تسميم اللغة العربية بتوظيف كثير من المفردات والتراكيب الأجنبية وخصوصا اللغة الإنجليزية.

(١) عملت عدة سنوات موجها للغة العربية والتربية الإسلامية. ولتقييم المدرس الأول الذي يقوم بالتدريس للسنة النهائية بالمرحلة الإعدادية «المتوسطة» دخلت عليه الفصل وهو يشرح درسا في التربية الدينية موضوعه (التعاون في الإسلام)، وقام بشرح الدرس كله بالعامية الركيكة، أو ما نسميه في مصر بلغة أولاد البلد، من أمثال العبارات الآتية:

- التعاون: يعني كل واحد إيده في إيد أخوه بالصلا ع النبي.

- يعني اللي معاه يِدّي للي ما معهش.

- واللي معاه رغيف حاف يكسره اتنين نص له، ونص لجاره..»

ولم يستشهد المدرس بآية واحدة أو حديث واحد (على شهرة الشواهد في هذا الموضوع، مثل قوله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**﴾. وكتبت إنذارا رسميا لهذا المدرس أطالبه فيه بضرورة التزام العربية الفصحى في شرحه. وظهرت علامات التعجب على وجهه وسألني: يعني سيادتك عايزني أشرح بالنحوي؟ (بفتح النون والحاء وكسر الواو). ثم أردف قائلا: دنا لو شرحت بالنحوي العيال يضحكوا عليّ» وهو - للحق - صادق في العبارة الأخيرة، بعد أن أصبحت العامية هي الأصل، والفصحى هي الشذوذ والاستثناء.

وعلينا أن نتذكر جيداً أن كل أولئك يعد جناية على «لغة سماوية». فهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، والجناية عليها تعد جناية على ديننا وقيمنا الإسلامية، وكان علينا انطلاقاً من هذا التصور أن نكون أكثر حذراً، وأن نعمل بصفة دائمة على صيانة هذه اللغة وحمايتها وتطويرها بعيداً عن التعسف والتكلف والسرف.

فاللغة العربية إذن تعيش واقعاً حزيناً مؤلماً يدفعنا إلى أن ننادي بضرورة الإنقاذ الفوري المبني على دراسة واعية، وأسس علمية قويمة سليمة سديدة. ويجب أن تسند مهام هذا الإنقاذ لمتخصصين من ذوي العلم والدين والحصافة والغيرة على الدين واللغة، وذلك على مستوى الأمة العربية كلها، لا مستوى الوطن الواحد.

• • •

وفي الصفحات التالية أقدم ـ باجتهاد شخصي آمل أن يكون صائبا ـ ما أرى أنه يمثل خطوطا رئيسة، أو معالم على طريق الإنقاذ. مع ملاحظة ما يأتي:

١ ـ أنني لا أدّعي أنها تمثل «الخطة المثالية»، فمثل هذه الخطة أكبر من أن يضطلع بها شخص واحد مهما كانت خبرته وثقافته، فهي تحتاج إلى لجان متخصصة يمثل أصحابها خبرات متنوعة وثقافات متعددة، ومتابعات ميدانية متواصلة، وقبل كل أولئك إخلاص وأمانة وعزم صادق متين.

٢ ـ أن هذه «الخطوط الإنقاذية» لا تتعدى وسائل الإعلام ومتعلقاتها من شخصيات الإعلام، ومادته، ولغته وبرامجه... إلخ. ومن ثم لا يدعي البحث أنها خطوط إنقاذية شاملة تقدم حلولا لكل مشاكل اللغة العربية في كل المجالات.

وآمل ألا أكون قد جانبني الصواب فيما قدمت.

الفصل الثالث

معالم على طريق الإنقاذ

(١) شخصية الإعلامي

وأقصد بالإعلامي هنا الصحفي والمذيع في الراديو أو التلفاز، والمذيع - بصفة خاصة - يعد أهم مَعْلم من معالم الإصلاح اللغوي، والنهوض بالفصحى. يقول أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس - رحمه الله - إننا لو نشّأنا المذيعين والممثلين تنشئة خاصة، راعينا فيها العناية بنطقهم، وجعلنا منهم أداة نافعة لنشر ذلك النطق النموذجي بين الناس، يسمعونهم فيحاولون تقليدهم، استطعنا بهذا أن نقطع شوطاً بعيداً فيما نهدف إليه من تقريب بين أبناء الأمم الشقيقة. ولا مناص من جعل أداة القول - في كل هذا - تلك اللغة الفصيحة التي نقرؤها في تراثنا الأدبي القديم، وفي صحفنا ومجلاتنا الحديثة، ففيها قدر مشترك كبير من جميع الأمم العربية[١].

لذلك يجب ألا يوضع في الموقع الإعلامي إلا من يُتوسم فيه القدرة والجدارة بهذا الموقع. وإذا كان تعيين المذيعين بخاصة يتم بناء على مقابلات هامشية شكلية لا تكشف عن شخصية المتقدم لشغل هذا المنصب فإن هذا سبب أساسي من أسباب تفاقم المشكلة، ومساهمة في الإساءة إلى اللغة العربية والعمل على تخريبها وهدمها.

لذلك أرى أن المتخرج في الجامعة يجب ألا يُختار مذيعاً إلا إذا اجتاز بنجاح امتحانا، بل عدة امتحانات جادة، في فروع اللغة العربية، أو أهم هذه الفروع.

وتصوري المبدئي لهذه الاختبارات هو الآتي:

(١) في اللهجات العربية ٢٩.

أولا: الامتحان التحريري:

١ ـ في النحو العربي الوظيفي التطبيقي : ويكون بطلب الضبط الكامل لِبُنى الكلمات في عبارات كاملة متعددة متنوعة (أدبية ـ تجارية ـ علمية ـ سياسية).

٢ ـ في الإبداع الإنشائي. ويشمل:

أ ـ كتابة مقال أو خاطرة أو أكثر عن عدد من الموضوعات مثل: السلام العالمي. مشكلة التفرقة العنصرية. عالمية اللغة العربية. التخلف اللغوي: ظواهره وأسبابه ـ الطفولة: مشكلاتها وحلولها. القراءة الحرة، بعض المشكلات الاجتماعية. مستقبل الديمقراطية في إفريقيا. الإصلاح التعليمي: كيف يكون؟... إلخ.

ب ـ حوار (متخيل طبعاً) بين طالب الوظيفة وشخصية عامة (وزير ـ مدير ـ رئيس نادٍ... إلخ)

جـ ـ الثقافة العامة المتعلقة بأدبيات اللغة العربية وتاريخها وأعلامها.

• • •

ثانيا: الامتحان الشفوي:

١ ـ بالصورة السابقة التي عرضناها آنفاً للامتحان التحريري. على أن يتم ذلك بطريقة التسجيل الصوتي للمذيع، حتى يمكن تقييمه في تأنٍّ تقييماً سليماً.

٢ ـ في حفظ ثلاثة أجزاء على الأقل من القرآن الكريم، وعددٍ من قصائد الشعر العربي، بحيث لا يقل المحفوظ عن مائتي بيت، وما لا يقل عن مائة سطر من روائع النثر.

فكل أولئك يقوّم ألسنة المذيعين ـ من جهة ـ ويزيد من ثروتهم اللغوية التراثية من جهة ثانية، فهم من أحوج الناس إليها.

٣ ـ في نطق الأعلام الأجنبية الأدبية والسياسية والعلمية والقانونية، وأسماء البلدان والمناطق، وكذلك الأعلام العربية والإسلامية[١].

● ● ●

وأرى أن الترقيات المادية والأدبية يجب ألا تتم بالأقدمية المطلقة ـ كما هو واقع الآن ـ بل يجب ألا يُرقّى المذيع إلا بعد اجتياز امتحان أرفع مستوى من الامتحان الذي قدمت آنفاً تصوراً مبدئيا له.

ومن ناحية أخرى تتواصل برامج التدريبات الجادة للمذيعين، لأن برامج التدريب في صورتها الحالية لا تفي بالغرض على وجهه المنشود.

وبالاستقراء رأيت أن مستوى الأداء عند كثير من المذيعات هابط للغاية، فمن أخطائهن الملحوظة نطق ا لأصوات المطبقة (القاف ـ والطاء ـ والضاد ـ والصاد) بلا إطباق كأنها: كاف وتاء ودال وسين. فتقول إحداهن:

سدك الكول : بدلا من : صدق القول.

تاه حسين : بدلا من طه حسين.

أعداء النادي: بدلا من : أعضاء النادي.

فَدْل الأمهات: بدل من فضل الأمهات[٢].

ولذلك يجب مضاعفة التدريبات النطقية للمذيعات بصفة خاصة. ولا يسمح لهن بمزاولة هذه المهنة الحساسة إلا بعد وصولهن إلى درجة من الإتقان والنضوج.

---

(١) للأسف رأيت وسمعت كثيرا من المذيعات والمذيعين يخطئون في نطق كثير من الأعلام العربية والإسلامية. ومن هذه الأخطاء: تشديد الباء في (آل الصباح) وعدم تشديد الياء الثانية في (إيليا) والباء في (الشابي) والزاي في (الغزالي). ويفتحون القاف في (المثقب العبدي) والصحيح أنها مشددة مكسورة.

(٢) لاحظ الدكتور محمود فهمي حجازي أن هذه الظاهرة النطقية قد انتشرت بين طالبات جامعة القاهرة. ويحذر من هذه الظاهرة التي يمكن أن تتفاقم وتزيد إذا استمرت وسائل الإعلام ـ في نطقها ـ على ما هي عليه.
(انظر كتابه: اللغة العربية عبر القرون ١١). وهي ملاحظة في محلها لأنه أستاذ بجامعة القاهرة.
والواقع حاليا هو انتشار هذه الظاهرة في كل الجامعات المصرية.

(٢) المعجم الإعلامي

وأرى أن يوضع معجم إعلامي إرشادي، وأن يقوم بهذا العمل لجنة من كبار كفاة الإعلاميين واللغويين من أصحاب الممارسة والخبرة الطويلة، وقبل وضع هذا المعجم بسنتين على الأقل يجب القيام بعملية رصد ميداني شامل للأخطاء التي يقع فيها الصحفيون والإذاعيون بنوعيهما.

ومحتويات هذا المعجم في تصوري:

١ ـ الأعلام العربية والأعجمية للأشخاص والمدن والمصطلحات العلمية، وخصوصا تلك التي يكثر ورودها على ألسنة الإعلاميين.

ويجب أن تكتب هذه الأعلام مضبوطة بالشكل. أما الأعلام الأجنبية فيجب أن تكتب بالحروف العربية والحروف اللاتينية.

٢ ـ الألفاظ والعبارات: التي يحتاج إليها الإعلامي أكثر من غيرها، ويستحسن وضع المفردات في جمل فصيحة تبين عن معناها وترفع من المستوى الأدائي للإعلامي.

٣ ـ الأخطاء الشائعة: مرتبة ترتيباً هجائيا، مع بيان علة الخطأ في إيجاز شديد، وأعني بهذه الأخطاء: ما هو شائع في مجال الإعلام، وليس ما هو شائع في المجتمع العام لأن ذلك يحتاج إلى مجلدات ومجلدات[1].

٤ ـ علم الأصوات: وأرى أن يذيل هذا المعجم بخلاصة مركزة ومبسطة للخطوط العريضة النافعة عمليًّا من علم الأصوات، وكيفية نطق الحروف.

---

(١) من الكتب الجليلة في هذا الموضوع مجلدان ضخمان للأستاذ محمد العدناني الأول باسم «معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة» والثاني باسم «معجم الأخطاء الشائعة».

(٣) لغة الأداء الإعلامي

وعودا على بدء نرى ضرورة التزام العربية الفصحى لغة للأداء الإعلامي. وأقصد بالأداء الإعلامي: التعبير اللغوي عن كل ما يقدم في الصحف والإذاعة والتلفاز. مع مراعاة المستوى الثقافي والفكري للمتلقى، ويصدق ذلك على ما يقدم من برامج خاصة بالأطفال والفلاحين والعمال. ولا يعترض على ذلك بمقولة أن التزام العربية الفصحى لن يمكن الفئات السابقة من الفهم، وبذلك تسقط أهم مهام اللغة العربية، وأهم أهداف وسائل الإعلام. ولكن هذا الاعتراض في غير محله، ويمكن نقضه بما يأتي:

١ ـ اللغة العربية التي ندعو إلى استخدامها ليست العربية التراثية، إنما هي العربية السهلة المبسطة التي تعبر عن المادة تعبيرا مباشرا منتجا.

٢ ـ ثبت ـ واقعيًّا ـ أن الأطفال ـ بعد السادسة أقدر من الكبار على حفظ القرآن الكريم، مع فهم كثير من آياته. فتصويرهم بالعجز عن فهم العربية الفصحى تصوير غير دقيق.

٣ ـ وقد عرض التلفاز عدداً كبيراً من المسلسلات التمثيلية، ومسلسلات الصور المتحركة بالعربية الفصحى، وكان الأطفال متعلقين بها إلى حد كبير.

٤ ـ ولا يستطيع أحد أن ينكر أن خدمة الموضوع، وبراعة المعالجة وبراعة العرض ودقة الأداء، وحسن استخدام وسائل التقنية الحديثة في التصوير والإخراج.. كل أولئك يرفع من قيمة العمل المقدم ومن تأثيره، ويفتح الطريق رحبا أمام العربية الفصحى لتنساب إلى نفوس الأبناء. والعكس صحيح ـ فالأعمال والمواد المقدمة، حتى ولو كانت في ذاتها قيمة، ولم تعالج المعالجة الفنية الجمالية ستجد طريقها إلى عقول الآخرين وقلوبهم مغلقا.

٥ ـ والطبقات الدنيا ـ من عامة الناس ـ بعد التقدم التقني الهائل، وبعد أن تيسر لها اقتناء الراديو والتلفاز، وربما الفيديو بعد أن كان دخول مذياع واحد إلى القرية يعد حدثا كبيرا في حد ذاته.. هذه الطبقات أصبحت تعايش البرامج الدينية وتستمع إلى الخطب السياسية، وتعي كثيرا منها، وتستمع إلى القرآن وتفهم كثيرا منه، ومن ثم لم يعد من الصعب عليها فهم أية مادة تقدم بالعربية الفصحى، بعد أن تمرست عشرات من السنين في الاستماع إلى المذياع، ومشاهدة معروضات التلفاز[١].

٦ ـ كما أن الفصحى بمفهومها الذي قدمناه ـ تبقى بالنسبة للمتلقى ـ أيا كان حظه من المعرفة ـ أسهل بكثير من العامية أو العاميات في نطاق الوطن الواحد كمصر مثلا. وتزداد الصعوبة إذا أدخلنا في حسابنا العاميات الأخرى على مستوى الوطن العربي، وخصوصاً الشمال الإفريقي.

٧ ـ وتلحّ الحاجة إلى الفصحى في هذا الوقت الذي أصبحت الوحدة العربية فيه ضرورة بقاء، لا ضرورة نهوض فحسب. فالربع الأخير من هذا القرن يمثل بالنسبة لأوروبا بخاصة ـ سنوات التكتلات والتوحد في مجال الاقتصاد، وأخيراً في مجال السياسة.

٨ ـ والفصحى في التليفزيون ـ كما يقول الدكتور عبدالعزيز شرف ـ يمكن أن تلقى نجاحاً من جانب المشاهد العربي في الاستقبال، ذلك أن لغة التليفزيون هي لغة المشاركة في أحداث، ومشكلات، من صنع الواقع أحيانا، ومن صنع الخيال أحيانا

(١) بدأ اقتناء التلفاز في القرى المصرية من أربعين عاما تقريبا. وكانت المقاهي أسبق إلى اقتنائه من الأفراد والأسر، وذلك لهدف تجاري. إذ زادت مبيعات المقاهي من المشروبات والمدخنات. واستبدت الدهشة بكثير من المشاهدين وهم يرون المغنين والمغنيات والممثلين والممثلات في هذا الجهاز الغريب. وسألني أحد العامة من كبار السن ـ وهو مذهول ـ أن أشرح له كيف دخل هؤلاء الناس هذا الصندوق. وبالتدريج زاد الوعي، وزال الاندهاش بدخول هذا الجهاز ـ بأنواعه المختلفة أغلب المنازل والمحلات والمتاجر والمصانع، ونجح في هز كثير من القيم والعادات الطيبة، وترسيخ قيم وأخلاق ومعارف أخرى لا يتسع المقام للخوض فيها.

أخرى، ولقد أصبحت فرص المشاركة الاختيارية اليوم أعظم بكثير، بسبب التقدم التكنولوجي في قرننا هذا(١).

وإذا كانت الفصحى التي ندعو إليها هي الفصحى المنضبطة البسيطة البعيدة عن الغريب والمهجور من الألفاظ، فثمة سمة أخرى يجب أن تتسم بها وهي البعد عن الابتذال(٢)، والابتذال يعني أن يهبط مستوى هذه اللغة حتى تصير قريبة من العامية، أو على الأقل تتبنى بعض ألفاظها وتراكيبها، وإلا فسيأتي اليوم الذي تتحول فيه هذه «الفصحى».. إلى عامية كعامية المثقفين في وقتنا الحاضر.

وأخيراً علينا أن نعتمد ـ بصفة أساسية ـ في معروضاتنا الإذاعية والتلفازية على أعمال إبداعية عربية، ذات مستوى رفيع، ومعالجة فنية راقية. ومما يؤسف له حقا أن نجد البرامج والأفلام الأجنبية ـ وخصوصا الأمريكية ـ تعرض في تلفازات الدول العربية، وتزاحم الإبداعات العربية، وتهز من وجودها إلى حد كبير.

لغة الأداء الإعلامي يجب أن تكون العربية الفصحى في صورتها السهلة الواضحة، هذه هي السمة الأساسية لهذه اللغة، وحتى تحقق هذه اللغة أهدافها الإعلامية بنجاح يجب الالتزام ـ في استخدام هذه اللغة ـ بما يأتي:

١ ـ إيثار الجمل القصيرة، وتجنب الجمل الطويلة المسهبة، وكذلك الجمل الاعتراضية، والحشو اللفظي الذي لا طائل وراءه.

٢ ـ تجنب المشترك اللفظي، وكذلك ألفاظ الأضداد، لأن ذلك يوقع السامع والرائي في اللّبس، وخصوصاً أن المادة المقدمة من المواد العابرة التي لا يمكن الرجوع إليها.

٣ ـ القصد في استعمال المجاز إلا لمقتضيات فنية.

(١) شرف : المدخل إلى وسائل الإعلام ٤٧٩.

(٢) انظر: ريمون ودنيز طحان: اللغة العربية وتحديات العصر ١٣١ ـ ١٣٢.

٤ ـ الربط في دقة بين الكلمة والصور المعينة، سواء أكانت لوحات صامتة أم مناظر حية متحركة.

٥ ـ تجنب العبارات المستهلكة والألفاظ المبتذلة.

٦ ـ التكرار غير المل، وذلك لترسيب الكلمات والمعاني عند المتلقي، لأن مادة الراديو والتلفاز مادة عابرة غير مسجلة.

٧ ـ تمثل المذيع للمعنى، وإعطاء الكلمات حقها الصوتي تبعاً لدلالتها المعنوية، مع الحرص على الوقفات المطلوبة منعا لِلَّبس، وإفساد المعنى، أو إنتاج العبارة غير المطلوب منها[١].

٨ ـ إيثار الفعل المبني للمعلوم على الفعل المبني للمجهول إلا ما كان مبنيا للمجهول بطبيعته، وهي أفعال مذكورة في اللغة على سبيل الحصر مثل: عُني (بالأمر) احتُضر ـ تُوفي ـ استُشهد ـ زُهي ...إلخ[٢].

وقد دلّت الأبحاث على أن استيعاب المستمع للجمل البسيطة أسهل بكثير من استيعابه للجمل المعقدة، ويعزى هذا إلى أن التغيير في الاستراتيجية مرات عديدة أثناء الاستماع لجملة طويلة معقدة لكي يتفق ما يسمعه مع ما يتوقعه يستغرق وقتاً أطول مما يحتاجه عندما لا يضطر لتغيير تلك الاستراتيجية، أي في حالة الجملة البسيطة.

(١) مثال ذلك ما جاء على لسان مذيعة «التلفاز المصري» في نشرة أخبار الثانية عشرة ظهر الأربعاء ٧ من ذي الحجة ١٤١٤هـ «... وقد انضمت إلى القوات الشمالية قبيلتا بكيل وحاشد بذلك / صرح مصدر رسمي من اليمن الجنوبي أمس» فوقفت بعد كلمة بذلك، فمحت بهذه الوقفة الرابط بين الجملتين، كما أساءت إلى مدلولهما. والوقفة الصحيحة تكون بعد كلمة حاشد. على النحو التالي «وقد انضمت إلى القوات الشمالية قبيلتا بكيل وحاشد / بذلك صرح مصدر رسمي من اليمن الجنوبي أمس».

(٢) انظر في تفصيل هذه السمات: عبدالعزيز شرف: اللغة الإعلامية ٢٤٥ ـ ٢٥٢. ويذهب شرف إلى أنه يستحسن استخدام صيغة الفعل المضارع في لغة الإذاعة المسموعة والمرئية. (السابق ٢٤٩). ونحن نرى أن هذا الاستحسان في غير موضعه. فكيف يستحسن استخدام المضارع فيما حقه الماضي أو المستقبل. فالأصح أن يقال «ويجب الحرص على استخدام الفعل المناسب لزمنه وواقعه».

كما تبيّن للدراسين أن المستمع يفهم الجمل ذات التركيب الأساسي العادي بأسرع مما يفهم تلك التي تختلف عن ذلك التركيب. فالجملة المؤلفة من فعل وفاعل (وربما مفعول به) أسهل على الفهم بهذا الشكل مما لو كانت مؤلفة من فعل مبني للمجهول يعقبه نائب عن الفاعل. فجملة مثل «اشترى الرجل سيارة». أسهل فهما من جملة «اشتريت السيارة (من قِبَل الرجل)».

كما أن الجمل الأساسية التي لا تتضمن جملاً فرعية كجملة الصفة أو الحال، أو الجملة الموصولة أسهل على الفهم من الجملة المؤلفة من جملتين: إحداهما أساسية، والأخرى فرعية. فجملة: «الرجل مريض» أسهل كثيرا على الفهم من جملة: «الرجل الذي حدثتك عنه بالأمس مريض» وكلما زاد عدد الجمل الفرعية زادت صعوبة فهم الكلام»[1].

(١) د. نايف خرما: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ٢٠٣.

(٤) الإعلانات

عرضنا لخطورة الإعلانات، وخصوصا الإعلانات التلفازية، وشدة تأثيرها على الأطفال والشباب، وبلغ الأمر بالأطفال درجة تقليد الحركات والرقصات، وترديد الأغاني بما فيها من أخطاء فادحة، وكلمات مستوردة، وبعضها خارج على حدود الأخلاق، أي أن التأثير وصل إلى درجة الهيمنة والامتصاص.

ومن ثم يجب أن تخضع الإعلانات في تصنيعها، ومادتها، وعرضها لرقابة جادة صارمة ـ كما ذكرنا من قبل ـ بحيث تراعي ما يأتي:

١ ـ الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، بتجنب ما يخدش الحياء، ويُدلّك عواطف الشباب، ويثير المراهقين، ويجب أن يمتد هذا الالتزام ـ كذلك ـ ليشمل كل أنواع الإعلانات، ومن أهمها إعلانات الشوارع وهي التي يطلق عليها الملصقات أو إعلانات المساحة، وغالبا ما تكون عن أفلام أو مسرحيات، وغالبا ما يكون فيها من المناظر ما يخدش الحياء.

٢ ـ هيمنة الطابع العربي الوطني على الإعلانات في الشخصيات والمناظر، حتى لا تصرف المشاهد عن بيئته.

٣ ـ التزام العربية الفصحى في الأداء، بعيدا عن اللغات الأجنبية، والعاميات واللهجات المحلية. ويستثنى من ذلك الإعلانات التي تقتضي طبيعتها أن تكون بلغة أجنبية، وحتى في هذه الحال يجب أن ينشر مع الإعلان ترجمة باللغة العربية.

٤ ـ ألا يسمح بالكلمات الأجنبية في الإعلانات واللافتات إلا للشركات والمحال الأجنبية في البلاد العربية، وهي أيضا يجب أن توضع بجانبها الترجمة العربية بالصياغة العربية مثل: (Nile Hilton ـ هيلتون النيل)[١].

---

(١) للأسف ظلت هذه اللافتة عدة سنوات مكتوبة (النيل هلتون)، فجعلت المضاف إليه قبل المضاف ـ على طريقة الإنجليزية.

وتلغى من الإعلانات واللافتات البدع اللعينة الغريبة مثل استبدال كلمة بوتيك ـ وهي فرنسية ـ بكلمة دكان أو محل[١].

ويحظر كذلك أن تكون التسمية بألفاظ عربية، ولكن بصياغة غير عربية كما نرى في (شركة الهدى مصر). والصحيح أن تكون التسمية بإحدي الصيغ الآتية:

- شركة هدى مصر (مضاف ومضاف إليه).
- شركة مصر الهدى (مضاف ومضاف إليه).
- شركة الهدى المصرية (موصوف وصفة)

ومن البدع اللاعربية التي يجب أن يُقضى عليها وضع حَرْفي (كو) (Co) بعد الاسم بديلاً أو إشارة إلى الكلمة الانجليزية Company مثل:

ناتكو (توكيل مرسيدس بالقاهرة)

إيبيكو (شركة أدوية)

فاركو (شركة أدوية)

بيتكو (للمقاولات والمباني)[٢]

• • •

(١) فنجد: بوتيك الفضل ـ بوتيك مرمر ـ البوتيك اللبناني... الخ. وتكون المصيبة أفدح حينما يجمع صاحب المحل بين سوأتين: استخدام كلمة أجنبية مكان كلمة عربية هي أقدر منها على الأداء. والثانية سوء التركيب بوضع المضاف بعد المضاف إليه مثل النور بوتيك.

(٢) من عجائب الصدف ـ أو مبكياتها ـ أنني رأيت في إحدى قرى شمال مصر لافتة على دكان خشبي صغير (كشك) يبيع السجائر والمثلجات. ومكتوب على اللافتة (سجاير فاركو)، ومعروف أن (فاركو) شركة لإنتاج الأدوية. ولا علاقة لها بالسجائر، فسألت صاحب الكشك عن سر التسمية فكان جوابه أن ابنه نقلها من (الجرنان) فسألته عما أعجبه فيها فكان جوابه (لقيتها حلوة.. يعني حاجة افرنجي كده) وهذا يعني أن عقدة الخواجة أصبحت تؤتى أكلها الخبيث حتى في الريف.

كل هذه المظاهر المرضية في الإعلانات يجب أن تواجه بقوة وحزم دَرْءًا لهذا العدوان الصارخ على اللغة العربية والقيم الأخلاقية. وسبق أن أشرت إلى أن الإعلان يستند إلى «فن» مدروس، وتقنية عالية، وجمال خارج في العرض مما يضمن له قوة التأثير. ومن ثم يجب أن تكون المواجهة على مستوى هذه القوة أو هذه القوى، حتى لا تضيع جهودنا هباء، ونكون كالذي يحرث في السحاب أو البَحر.

(٥) البرامج التعليمية

يقدم في الإذاعة المصرية، وفي التلفاز كذلك برنامج تعليمي في اللغة العربية لطلاب السنوات النهائية في مراحل التعليم، ولكن أغلبها وخصوصا التلفازي منها يقدم بطريقة إلقائية خطابية مباشرة من إحدى غرف البث بالتلفاز. وهنا يهبط التلفاز إلى مستوى الراديو إذ ألغى المسؤولون دور العين في المشاهدة والمتابعة، فليس أمام المشاهد إلا شخص مقدم البرنامج الذي لا تتحول عنه عدسة التلفاز طيلة وقت الإرسال، وهو نصف ساعة غالبا. وحتى يحقق البرنامج الأهداف المنشودة أرى:

(١) تجنب مقدم البرنامج الطريقة الخطابية الإلقائية، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كانت المادة المقدمة مشهودة معيشة، تشد الطلاب إليها، بحيث تكون المشاهدة جزءاً لا يتجزأ من بنية البرنامج المقدم، حتى لا يتساوى البرنامج مقدَّما عن طريق الراديو، والبرنامج نفسه مقدماً على شاشة التلفاز، كما يحدث حاليا، مع فارق واحد وهو ظهور مقدم البرنامج في الحالة الثانية، وسماع صوته فقط في الحالة الأولى.

وحتى يكون القارئ على بينة من هذه الحقيقة أقدم مثالا لدرس من دروس النصوص قُدم لطلاب الثانوية العامة في التلفاز المصري، وكان الموضوع قصيدة «المساء» للشاعر خليل مطران، وهي من أشهر قصائده، وقد نظمها سنة ١٩٠٢. وتعد رائدة الشعر الرومانسي في العصر الحديث، والجزء المقرر يبدأ بقوله:

إني أقمتُ على التعلة بالمنى ... في غربة قالوا تكون دوائي

عبث طوافي في البلاد وعلة ... في علة منفاي لاستشفاء

وعلى مدى نصف ساعة سار مقدم البرنامج في تقديم النص بالطريقة الآتية:

- تحدَّثَ عن الشاعر وحياته في ثلاث دقائق.
- تحدَّثَ عن مناسبة القصيدة والجو العام للنص في ثلاث دقائق.
- قرأ النَّصَّ، ثم قدم الأفكار الأساسية في الأبيات.

- شرح الأبيات شرحاً إجماليا.

- فسر بعض الكلمات تفسيرا لغويا.

- أبرز ما في الأبيات من صور جزئية بيانية، وألفاظ موحية.

وفي سهولة استطعت أن أسجل على هذه الحلقة المآخذ الآتية:

أ - جاء شرح الكلمات بطريقة تجريدية، دون استخدامها في جمل توضح معناها، وتثبتها في ذهن الطالب.

ب - الاعتماد في إبراز جماليات الأبيات على ما يمكن أن نسميه «بالبلاغة الرياضية أو الحسابية» وتعني الحرص على إحصاء ما في الأبيات من صور جزئية كالتشبيه والاستعارة والكناية:

- في البيت الأول تشبيه بليغ: شبه الغربة بالدواء.

- في البيت الثاني تشبيه بليغ: شبه المنفى بالعلة.

- شاك إلى البحر: استعارة مكنية.

«والبحر.. كصدري كساعة الإمساء» تشبيه مقلوب.

وكان من المفروض أن يبرز الشارح أن المصدر الأساسي للجمال الفني في الأبيات هو اعتماد الشاعر على ظاهرتي: التشخيص: تشخيص مظاهر الطبيعة، والمزج بين نفسه وبين مظاهرها المختلفة كالبحر والغروب إلى درجة الحلول الشعري.

مضت الحلقة بهذه الصورة النمطية التقليدية التي تثير الملل والسآمة إذ لم يكن أمام المتلقين إلا وجه مقدم البرنامج على مدى نصف ساعة، والمشاهدة هنا - كما أشرت آنفا - لا قيمة لها، لأن البرنامج بهذا الرتوب و«الصورة الواحدة» لا يختلف في حالته هذه عن تقديمه في الراديو.

والتقديم المثالي لمثل هذه الحلقة بالذات يجب أن يُنتفع فيه بنهج حلقات (العلم والإيمان) التي يقدمها الطبيب مصطفى محمود، فيتم التعاقد والتلاحم بين العناصر الآتية:

- صوت الشعر.
- آلة التصوير.
- مشاهد الطبيعة.

فتنتقل آلة التصوير مع الأبيات إلى مشاهد الطبيعة التي تمثلها هذه الأبيات، بحيث لا يظهر المقدم على الشاشة الصغيرة إلا لفترات قصيرة جداً.

● ● ●

(٢) يجب إشراك الطلاب في هذه البرامج باستضافة بعضهم إلى الاستوديو، وإظهارهم في حلقات البرنامج ليتلقى منهم مقدمها أسئلتهم، على أن يكون ذلك بعيدا عن الافتعال والتكلف.

وأكثر من ذلك واقعية، وأجدى أن تقدم بعض الحلقات من بعض المدارس. ولا يعني ذلك الالتزام بمكان واحد، وطريقة واحدة، بل لا بد من التنويع والتلوين في المكان والطريقة.

(٣) يجب أن يكون للبرامج التعليمية خطة مبنية على وحدات متكاملة بالنسبة للمراحل التعليمية الثلاث (الابتدائية والإعدادية أو المتوسطة والثانوية)، بلا إشعار بالانفصام والاستقلالية، وذلك بأن تكون المرحلة اللاحقة مؤسسة ومبنية على معارف المرحلة التي تسبقها: فيستغل مقدم برنامج المرحلة المتوسطة ما درسه التلاميذ في المرحلة الابتدائية، وما قدمه زميله من معارف في البرنامج التعليمي لهذه المرحلة، وهذا يتطلب تحقيق أمور ثلاثة:

الأول: أن تكون اللجنة التي تضع البرامج التعليمية للمراحل الثلاث لجنة واحدة من خيرة خبراء التعليم والتربية والإعلام، وتراعى تسلسل المادة وتصعيدها من صف إلى صف، ومن مرحلة إلى أخرى.

الثاني: أن تقوم هذه اللجنة بدراسة واقع البرامج التعليمية ـ قبل بدء عملها ـ وتقييمها تقييماً شاملاً لتفادي ما علق بها من نقائص وعيوب.

الثالث: أن يكون ضمن الخطة النص على الإفادة من عناصر التقنية العلمية في التصوير والإخراج والوسائل الحديثة التي تضفي على البرامج جماليات وجاذبية وتشويقا، بعيدا عن النمطية التقليدية التي تفقد هذه البرامج قدرتها على التاثير.

(٦) الصفحة الأدبية والملحق الأدبي

كان اهتمام المملكة العربية السعودية بهذا الجانب أوضح وأوفى بكثير منه في جمهورية مصر العربية. ومن مظاهر هذا الاهتمام إصدار ملاحق أدبية منفصلة كملحق «الجزيرة»، وملحق «المدينة» وفي بعض الصحف تخصص قرابة أربع صفحات داخل الصحيفة أسبوعيا للأدب والثقافة، كما تفعل صحيفة «عكاظ»، وصحيفة «الرياض». وذلك غير صفحة يومية للأدب والثقافة في كل الصحف تقريبا[١].

أما الصحف المصرية فصفحة الأدب في صحيفة الأخبار تنشر كل أربعاء، وإن كانت قد انكمشت إلى نصف صفحة بسبب زحف الإعلانات، وأحياناً تختفي تماماً إذا طغى هذا الزحف.

ومثل ذلك يقال أيضاً عن صفحة (دنيا الثقافة) التي ينشرها (الأهرام) كل أحد. وصفحة الأدب كل يوم جمعة. وإن تميز الأهرام بإخراج ملحق أدبي ثقافي مستقل كل يوم جمعة تشغل صفحته الأولى بقصة.

وأهم ما يميز هذه الملاحق: أن مادتها شاملة متنوعة، فهي تجمع بين الأدب والفن والثقافة، والتحقيقات الصحفية مع الأدباء والشعراء والنقاد، كما أنها تتسع للقصة والقصيدة والخاطرة. ولكنها تكاد تخلو من التراثيات واللغويات. لذا أرى أن يكون لهذين اللونين مكان في الصفحة أو الملحق الأدبي، ويتحقق ذلك بالصورة الآتية:

١ - عرض نص تراثي - شعري أو نثري - مضبوطاً بالشكل، مع شرح مبسّط له. لأن التراث في قدرته وقوته يمثل المثل اللغوي الراقي لمن يريد أن يقوّم لغته، وينهض بأسلوبه.

٢ - عرض درس نحوي موجز، مما يحتاج إليه في حياتنا العملية، ووظائفنا العامة.

٣ - عرض الأخطاء الشائعة التي تدور على الألسنة والأقلام، ومقابلها من الصواب، حتى يتجنب الناس الوقوع فيها.

---

(١) أصدرت صحيفة (الندوة) ملحقا أدبيا منفصلا من أربع صفحات ابتداء من الأحد ٢٦ من ذي الحجة ١٤١٤هـ - ٥ من يونية ١٩٩٤.

(٧) المجلات والصحف الدينية

يلاحظ - بصفة عامة - أن الصحف والمجلات الدينية ضعيفة التوزيع والانتشار إذا قيست بالصحف الأخرى. وليس هناك صحيفة دينية يومية، ولكن الصحف والمجلات الدينية منها الأسبوعي مثل «المسلمون» و«الدعوة» وهما سعوديتان، و«المجتمع» الكويتية. ومنها الشهري: مثل : لواء الإسلام (المصرية) والوعي الإسلامي (الكويتية) والرسالة (اللبنانية).

وفي بحث ميداني أجراه أستاذان فاضلان[١] على عينة من الطالبات والطلبة السعوديين عددها ألفان، ظهر أن هذه المجلات لم تحظ بأكثر من ١٢,١٪ من مجموع أفراد العينة. ولعل ذلك يعود إلى شكل المجلات الإسلامية، ومحتواها وهما ما زالا بعيدين عن مستوى المهنية الصحافية المتخصصة، وتتجه إلى السرد والمباشرة في مضمونها، مع التركيز على النصح، وسرد النصوص بعيداً عن التعايش الحي مع القضايا والأحداث المعاصرة، وبعضها لا يقر حتى نشر الصور والرسوم الإيضاحية[٢].

• • •

وقد لوحظ أن المستوى اللغوي لهذه المجلات يعتبر رفيعا إذا قيس بالمستوى اللغوي في المجلات والصحف الأخرى. ومن ثم يجب أن يكون هناك اهتمام بالجانبين الموضوعي والشكلي من ناحية الإخراج، والإفادة من وسائل التقنية العلمية الراقية، وكل ذلك - ولا شك - يزيد من توسيع دائرة انتشار هذه المجلات، مما يؤدي إلى توسيع دائرة التأثيرات اللغوية المفيدة، وخصوصا أن أغلب الأساليب تعبر عن قيم دينية، وأمور إسلامية تهم القارئ في عقيدته وسلوكياته.

---

(١) ساعد العرابي الحارثي ومراد محمد عثمان عاصي في بحث بعنوان «أطر استفادة الشباب في المملكة العربية السعودية من الجرائد والمجلات» من ص٢٣٣ إلى ص٢٦٣. من مجلة جامعة الملك سعود م (٢) الآداب (١) ١٤١٠ (١٩٩٠).

(٢) البحث السابق ٢٥٨.

(٨) محو الأمية

تعاني الأمة العربية من ارتفاع نسبة الأمية فيها ـ وأعنى بالأمية جهل القراءة والكتابة[١]. وعلى سبيل التمثيل تبلغ نسبة الأمية في مصر ٤٦,١٪ حسب آخر تعداد عام للسكان سنة ١٩٨٦م، وترتفع بين النساء إلى ٦١,٨٪، كما ترتفع في الريف عنها في الحضر[٢].

ويقدم تلفاز مصر منذ سنوات ركناً لمحو الأمية يتسم بالحيوية والتشويق وسرعة الحركة. ولاشك ـ أنه يمكن أن يعمم مثل هذا البرنامج في البلاد العربية كلها. وحتى يحقق هذا البرنامج هدفه لا بد أن يراعى فيه ما يأتي:

(١) الطابع المحلي: فالنموذج المصري ـ بمادته العلمية ـ بكل أبعاده وطوابعه لا يصلح للتعميم في البلاد العربية كلها، لأنه يتحدث إلى الطبقة الدنيا من العمال والفلاحين، وهم أعلى الطبقات المصرية في الأمية، والبرنامج المذكور يدور على محور عاداتهم وتقاليدهم وأعمالهم، مما يقتضي المغايرة في البلاد العربية الأخرى كالمملكة العربية السعودية، التي تعلو نسبة الأمية فيها بين البدو.

ومن ثم وجب أن يوضع لهؤلاء من برامج محو الأمية ما ينسجم مع واقعهم وأعمالهم وعاداتهم وتقاليدهم. لأن كل أولئك سيمثل نسيج هذه البرامج حتى يعايشهم ويعايشوه.

(٢) توظيف الموروث الديني، والقيم والسلوكات الإسلامية في تعليم اللغة، وربط اللغة بهذه المعطيات الدينية، واعتزاز الناس بالدين سيجعل اللغة قريبة من نفوسهم.

(١) لزم هنا التوضيح. بعد أن تعددت الأميات: فهناك الأمية الثقافية، والأمية الدينية، والأمية السياسية.. وهذا يعني نوعا من النقص الحاد في هذه الجوانب مع أن أصحاب هذه الأميات يعرفون القراءة والكتابة.

(٢) إحصائية الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء بمصر. عن كتاب د. عاطف العبد، الاتصال والرأي العام ١٦٩.

وإذا نظرنا إلى هذا الموروث الديني وجدنا أن الصلاة هي أصلح المواد لتعليم «الأعداد»، بعرض العبارات الآتية:

أ ـ في اليوم خمس صلوات.

ب ـ الصبح ركعتان.

جـ ـ الظهر أربع ركعات.

د ـ المغرب ثلاث ركعات.

هـ ـ العصر والمغرب معا سبع ركعات... إلخ.

(٣) الخروج عن النمطية التقليدية التي تعتمد على التقرير والإلقاء، واستخدام الوسائل المتطورة في العرض والشرح، واستخدام أسلوب الحوار والتمثيل والتصوير المعبر عن المواقف ومعاني الكلمات[1].

(٤) تجنب استخدام المصطلحات النحوية إلا في حالة الضرورة القصوى، وفي مرحلة متأخرة نسبيا، ففي مثل العبارات الآتية:

المسلم صادق

التاجران أمينان

المجتهدة ناجحة

تستخدم العبارات بعيداً عن المصطلح، فيقال: الاسم الأول والاسم الثاني، ولا داعي لاستخدام اصطلاحَيْ (المبتدأ والخبر) في المرحلة الأولى.

(٥) وثمة جانب مهم جداً هو جانب المتابعة. فحتى لا يفهم برنامج محو الأمية على أنه من قبيل الترفيه العقلي أو اللاعقلي، وحتى يؤخذ البرنامج مأخذ الجِدّ، وحتى

(١) فإذا أراد المعلم مثلا أن يعرض عبارة مثل: (انتصر صلاح الدين في حطين) فليسبق هذه العبارة مشهد من بضع دقائق من فيلم (الناصر صلاح الدين) قبل عرض العبارة. ويحسن أن تعرض إجابة عن سؤال مثل: إذا أردنا أن نعبر عما حدث، أو عما رأينا فماذا نقول؟

يرتبط المشاهدون به ارتباطاً حقيقيا، وحتى يحقق البرنامج الأهداف المنوطة به: يجب أن يكون هناك متابعة جادة من المسؤولين، ومن أهم مظاهرها اتخاذ الخطوات الآتية:

أ ـ إعلان المشاهدين المتابعين إرسال بياناتهم كاملة للمسؤولين عن البرنامج[1].

ب ـ عقد امتحان سنوي للمتابعين المسجلين بعد انتهاء كل دورة. وتكون مراكز الامتحان المدن الكبرى في المملكة (جدة. مكة. المدينة. أبها. الدمام. ...إلخ).

جـ ـ رصد جوائز قيمة للخمسة الأوائل في كل مركز من مراكز الامتحانات. وجوائز أقيم للخمسة الأوائل على مستوى المملكة كلها. ويحسن إفساح المجال للشركات والمتاجر لتقديم مثل هذه الجوائز.

د ـ يمنح الناجحون شهادات نجاح ينظر إليها بعين الاعتبار في حياتهم العملية والوظيفية.

(١) الاسم ـ السن ـ الجنسية ـ محل الميلاد... الخ. ويكون ذلك في نموذج مطبوع يعده التليفزيون.

(٩) عطاء المجامع اللغوية

لا يستطيع أحد أن ينكر الجهود الطيبة التي تقدمها المجامع اللغوية في البلاد العربية في المغرب والأردن وسوريا والعراق، ولعل أهم وأشهر هذه المجامع المجمع اللغوي بالقاهرة[١]، وقد جعل أهم أهدافه:

أ ـ تيسير اللغة متناً وقواعد، وكتابة، ورسم حروف، وقد أصدر مجموعة من القرارات العلمية (١٩٦٣) في أقيسة اللغة وأوضاعها العامة، والترجمة والتعريب، وكتابة الأعلام الأجنبية، وطريقة وضع المعاجم، والمصطلحات، وتيسير النحو والصرف.

ب ـ توفير المصطلحات العلمية، والألفاظ الحضارية، وهو يقف نحو ٧٠٪ من نشاطه على جمع المصطلحات ومناقشتها، وإقرارها، ويأخذ فيها بما يقوله الخبراء والمتخصصون بنسبة ٩٠٪ على الأقل، وبالنسبة للتعريب لم تزد نسبة ما قبله المجمع من ألفاظ أجنبية في معظم المواد عن ٥٪ من مجموع ما أقر من مصطلحات، ومنذ سنة ١٩٤٢ إلى سنة ١٩٦٢ أخرج المجمع أكثر من عشرين ألف مصطلح في العلوم المختلفة.

جـ ـ تهذيب المعجمات اللغوية: ووضع معجم شامل يعرض تطور اللغة في عصورها المختلفة، ومما طبعه المجمع: المعجم الوسيط في مجلدين.

د ـ تشجيع الإنتاج الأدبي بالمسابقات الأدبية والشعرية ذات المكافآت المجزية.

---

(١) أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ ليحافظ على سلامة اللغة العربية، ويجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون، وملاءمة حاجات العصر. وفي المجمع ـ غير الأعضاء العاملين من المصريين وغيرهم قرابة تسعين عضوا مراسلا. ونحو تسعين خبيرا من العلماء واللغويين، ويجتمع المجمع يوم الاثنين من كل أسبوع طوال ثمانية أشهر في السنة (أكتوبر ـ مايو) وينعقد المؤتمر مرة كل عام على الأقل للنظر فيما تم بحثه في المجلس.

(انظر: الموسوعة العربية الميسرة ١٦٥١).

هـ ـ إحياء التراث القديم بنشر عيونه في اللغة والأدب[1].

• • •

ومع هذه الأهداف النبيلة، وهذه الجهود الطيبة المتواصلة نرى أن عشرات الألوف من المصطلحات العربية التي وضعها المجمع مقابل المصطلحات الأجنبية لم يكتب لها الانتشار، وما زال الناس ـ وخصوصا العلماء والمتعلمين ـ يستسهلون، ويؤثرون استخدام المصطلح الأجنبي الأصلي. ويرجع إخفاق البديل العربي ـ في نظري ـ إلى سببين أساسين:

الأول: ضيق نطاق العرض والنشر لهذه البدائل العربية، فمن المفروض أنها للاستخدام العام في مجالات الحياة المختلفة، والقواعد العريضة من الشعوب العربية، ولكن هذه البدائل ظلت حبيسة إصدارات المجمع، وبعض المجلات اللغوية المتخصصة، وكأنها وقف على خاصة المتخصصين. «ونجاح تعريب أي مصطلح متوقف على استخدامه واستعماله لا في حفظه في الكتب والدفاتر.. والكلمة المستعملة هي الكلمة الحية، أما الكلمة المحتفظ بها، التي لا تعرف الدوران على الألسن كلمة ضعيفة جافة موؤودة من حين ولادتها، لما يحيط بها من إغفال وإهمال، ينتهي إلى الجهل بها، والإنكار لها»[2].

فمشكلة هذه المصطلحات التي أخرجها المجمع مشكلة إعلامية بالدرجة الأولى، وهي مشكلة تحول دون تحقيق هدف من أهم أهداف المجمع اللغوي.

(١) انظر : الموسوعة ١٦٥١ ـ ١٦٥٢.

وكذلك إبراهيم بيومي مدكور: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما ٦٠، والوثائق الرسمية الخاصة بنظام المجمع ولوائحه الداخلية ١٠٩ ـ ١٦٠ من ذيل الكتاب السابق.

(٢) الحبيب بن الخوجة في ندوة أقامتها مجلة الفيصل عن المجامع اللغوية: ما لها وما عليها، مجلة الفيصل العدد العاشر ١٣٩٨.

أما السبب الثاني: فيتلخص في افتقار كثير جدا من هذه البدائل لشروط القابلية والانتشار: فبعضها غير جامع، أي لا يؤدي المعنى بتمامه مثل اقتراح كلمة (المطْهرة)[1] بدلا من (دورة المياه)، لأن دورة المياه أعم وأشمل من المطهرة التي قد تكون أنسب للمكان المخصص للوضوء[2].

وبعضها من قبيل الفضلة التي لا قيمة لها كاقتراح (الشواهق) بدلا من (ناطحات السحاب)، فالتسمية الثانية عربية المبنى، وتؤدي المعنى في تصوير جميل. وكذلك اقتراح (رجع طبيعي) بدلا من (رد فعل) مع صحة الثانية واشتهارها.

وبعضها أصعب وأغرب من الأصيل ـ مع عربيته ـ كاقتراح (ثوب صفيق) بدلا من (ثوب ثقيل)، فالمعروف أن الثوب لا يكون ثقيلا إلا إذا كان صفيقاً. وكذلك اقتراح (المنزعة) بدلا من (الفتاحة) مع شيوع الثانية، وإقرار المجمع وزن (فعّالة) اسماً من أسماء الآلة كثلاجة وطيّارة وعبارة وخرامة وكسّارة.

وبعضها لم يفد من طوابع اللغة واتساعها لنطق الذال دالا في بعض الكلمات: مثل (جذع. وذيب. : جدع، وديب). فاقترح (الحواذق) بدل (الحوادق) ـ أي المخلل وما إليه ـ و(البذلة) بدل (البدلة)[3].

وبعضها لا يقل ثقلا وغرابة عن الأصيل: كاقتراح استعمال (الغرموق) بدلا من (التزلك)[4].

● ● ●

(١) اخترنا هذه الكلمة مما عرضه الأستاذ محمود تيمور. من ص٩٨ إلى ص١١١ من كتابه: مشكلات اللغة العربية.

(٢) ومثل ذلك اقتراح استعمال (الماشط) بدلا من «الماكيير» وهو الذي يقوم بعملية التشكيل للممثلين وغيرهم، أي ما يسمى بعملية «الماكياج»، وربما كانت (المشكِّل) ـ بتشديد الكاف وكسرها ـ أجمع وأدق من كلمة (الماشط) لأن (مشط الشعر وتصفيفه) على نسق معين هو أقل عمليات (الماكيير)، وتصبح بعد ذلك كلمة (التشكيل) أو (التشكيل الوجهي) أنسب الكلمات بديلا لكلمة (الماكياج).

(٣) استخدام كلمة (البذلة) بالذال قد يوقع في حرج، ويلقي بإيحاء غير طيب لأن المعنى الأصلي (للبذلة) ـ بكسر الباء ـ يعني ما يلبس ويمتهن ولا يصان. والمباذل هي الثياب التي تبتذل (لسان العرب ١/٢٣٨). وابتذل نفسه في كذا: امتهنها (أساس البلاغة مادة بذل: ١/٣٨).

(٤) الغرموق: الخف الصغير أو الخف الصغير فوق الخف (لسان العرب ١/٦٠٧).

وقد تنطوي الألفاظ المقترحة على مخالفات للغة والواقع العملي، ومن أمثلة ذلك: اقتراح (السَّراة) بدلا من (الارستقراط) مع أن الارستقراط مصطلح تاريخي يعني طبقة معينة تعتمد على (الارستقراطية)، وهي تعني النظام السياسي الذي يتميز بأن يتولى الحكم تبعا له طبقة من النبلاء، أو أفراد من الطبقة الخاصة، ويكون احتكارا لهم.

«وأرستقراطية» كلمة يونانية مكونة من «ممتاز + حكم». والحكم الارستقراطي مبني على أساس أن بعض الأفراد أصلح من غيرهم للسيادة، وأبرز عيوبه الميل إلى الاستبداد، وعدم تمثيل الإرادة الشعبية[١]. والكلمة في عرفنا اللغوي حاليا تعني التكبر والغرور، وسعة الثراء والانفصال عن الجماهير. ولا كذلك (السراة) فهي من (السرْو) أي المروءة والشرف والرفعة والنفاسة والسخاء، فهي جمع سري: أي شريف رفيع سخي ذو مروءة[٢].

وأشد من ذلك خطأ: اقتراح استخدام (اللافتة) بدلاً من (اليافطة). مع أن الأولى - لغة - لا تؤدي المعنى المطلوب، بل عكسه: فالفعل «لفت» لم يستعمل في العربية بمعنى: جذب وشد الانتباه. بل بمعنى صرف وأبعد. تقول: لفته يلفته: لواه، وصرفه عن رأيه[٣].

وكذلك اقتراح (الزبون) بدلا من (الشاري) مع أن الشاري - لغة - هو البائع، وليس المشتري، وهناك تاريخيا طائفة «الشُّراة» وهم فرقة من الخوارج أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية، لأنهم - كما يقولون - «باعوا» أنفسهم لله. قال تعالى عن أخوة يوسف: ﴿**وشروه بثمن بخس دراهم معدودة**﴾[٤].

(١) أحمد عطية الله : القاموس السياسي ٥٧.

(٢) لسان العرب: مادة: (سرو) ٢٠٠١/٣

(٣) القاموس المحيط: مادة: لفت: ١٥٧/١.

(٤) سورة يوسف ٢٠.

وكذلك: استخدام (مضخم الصوت) بدلا من (الميكروفون) و(المجهر) بدلا من (الميكروسكوب). والصحيح يجب أن يكون العكس: أي استخدام المجهر للأول، واستخدام (مضخم أو مكبّر الأجسام) للثاني: لأن الجهر صفة للأصوات، والتضخيم والتكبير يستخدمان أصلا للأحجام والأجرام.

وكذلك استخدام (البدعة) بدلا من (المودة). والمودة تعني الصورة السائدة، أو الاتجاه السائد في وقت معين في الملبس وما دار في فلكه. أما (البِدْع) فهو الأمر يكون أولا، أي جديدا لم يسبق، والبدعة هي الحدث أو المستحدث من الأمور[1]. وليس من اللازم اللازب أن تكون المودة مستحدثة دائما، فقد تسود (مودة) كانت سائدة من قبل، وقد يكون ذلك من سنوات طويلة، كما نرى الحال في الملابس في وقتنا الحاضر.

• • •

وهذا الاضطراب أو الخلل، وضعف الانضباط الذي عرضنا مظاهره في بعض المصطلحات المقترحة يضاف إليه ظاهرة أخرى هي تعدد كثير من المصطلحات للمسمى الواحد، فما زالت البلاد العربية تستخدم مصطلحات عربية لمسميات الحضارة من إنتاج مجامعها، وهي تختلف من وطن إلى وطن لأن القرارات تتخذ على مستوى الوطن أو الدولة لا مستوى الأمة. ومن أمثلة هذا المختلف:

- في مصر وغيرها: المرسوم

في المغرب : الظهير

- في مصر: مكتبة الأدوات الكتابية أو: الوراقة

في لبنان وتونس: القرطاسية

- في مصر : الترقية

(١) القاموس المحيط مادة: (بدع) ٣/٣.

في الأردن وغيرها: الترفيع

- في مصر وغيرها: الحلّة (البدلة)

في المغرب : الكُسْوة

- في مصر وغيرها: المبتكرات (المودة)

في تونس : خرْج الموسم.

- في مصر: التأشيرة (لجواز السفر)

في لبنان : الوسمة

في مصر: الثلاجة

في لبنان وغيرها: البراد[١].

وبعد هذا الاستقراء الموجز، وحرصا على رفع شأن العربية وإنمائها، وذيوع الطروحات المجمعية الجديدة وتجذيرها نرى أن ذلك لن يتم بالصورة المنشودة على مستوى الأمة العربية كلها إلا إذا تحقق شرطان:

الأول: توسيع دوائر نشر هذه الطروحات بشتى الوسائل الإعلامية.

والثاني: توافر القدرة الذاتية للطروحات الجديدة من ألفاظ وتراكيب مما يمنحها إمكانة أن تقبل وتستساغ وتنتشر.

• • •

وعن توسيع قواعد النشر ودوائره يجب أن تخرج هذه الطروحات الجديدة من محابسها في الكتب والمجلات والإصدارات المتخصصة، وواقعها أنها لا يرجع إليها إلا العلماء المتخصصون تخصصا حادا، وربما عند الحاجة الملحة فقط. ويكون ذلك الخروج في نشرات أو كتب شهرية أو فصلية توزع مجاناً أو بسعر رمزي على أوسع نطاق على مستوى الأمة العربية.

(١) عن محمود تيمور من بحث له بعنوان: ألفاظ الحضارة لسنة ١٩٧٢م، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣. منشور في القسم الثاني من مجلد مؤتمر الدورة الثامنة والثلاثين للمجمع اللغوي بالقاهرة.

كما يجب أن يخصص ركن دائم يومي أو أسبوعي في الصحف والإذاعة والتلفاز لجديد اللغة العربية.

وتتم الفائدة لو دخل هذا الجديد في مفردات المقررات الدراسية ابتداءً من السنة النهائية بالمرحلة الابتدائية، وانتهاءً بالسنة النهائية من المرحلة الثانوية.

• • •

وتحقيقا لقابلية هذه الطروحات لأن يستسيغها المتلقي، ويوظفها في حياته يجب مراعاة ما يأتي:

أ ـ أن تتجنب هذه الطروحات الصعوبة والغرابة كالذي نراه في كلمة (الغرموق) بديلا للتزلك.

ب ـ تجنب الخطأ اللغوي المعنوي والدلالي. كالخطأ في استعمال (اللافتة) بدلا من (اليافطة) و(السراة) بدل (الارستقراط).

جـ ـ الاتساع للتعريب إذا كان من الصعب وضع بديل عربي مناسب: فالتلفاز ـ مثلا ـ كبديل عن (التليفزيون) أنسب بكثير جدا من (المرناء) التي ماتت في مهدها.

د ـ توحيد المصطلحات الجديدة على مستوى الأمة العربية، فلا يسمح بتعدد المصطلح للمسمى الواحد، لأن ذلك يترتب عليه التزاحم والتضارب، وسقوط هذه الاجتهادات في النهاية لإفساح المجال للمصطلح الأجنبي الأصيل. وذلك بعد أن منح بعض العلماء أنفسهم الحق في الوضع والتعريب ـ على المستوى الفردي ـ وبذلك «أصبح بعض المصطلحات المعربة تختلف باختلاف الأقطار العربية، بل تختلف أحيانا باختلاف المُعَرّبين في القطر الواحد»[(١)].

هـ ـ وتفاديا لظاهرة التعددية المصطلحية يجب ألا ينشر المصطلح العربي أو المعرب إلا بعد إقرار مجمعي على مستوى الأمة العربية، بمعنى أن يقدم كل مجمع

(١) د. مازن المبارك، اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي ٥٢.

اجتهاداته في هذا المجال للجنة متخصصة في اتحاد المجامع العلمية واللغوية، وتراجع هذه اللجنة كل الطروحات، وتقر منها ما تراه مناسباً، ثم ينشر بعد ذلك على أوسع نطاق، كما ذكرت آنفاً.

و ـ إلزام الشركات الأجنبية في اليابان ودول آسيا وأوروبا ـ وهي مصادر استيراد رئيسة للدول العربية ـ بوضع ترجمات عربية سليمة دقيقة للكتيبات المرسلة مع سلعها وآلاتها للبلاد العربية(١). ويجب أن تعتمد في هذه الترجمة على المصطلحات المعتمدة اعتمادا نهائيا من «لجنة المراجعة والتصفية» التي أشرت إليها آنفا. ويمكن مدّ هذه الشركات أولا بأول بما تقره اللجنة من جديد.

(١) تلتزم أغلب هذه الشركات بذلك حاليا حرصا على ترويج بضائعها. ولكنها ترجمات سيئة جدا وأذكر أنني في قراءتي لأحد هذه الكتب (الكتالوجات) وهو يعرض الأسماء (العربية) لأجزاء جهاز التسجيل، ويشرح كيفية عمل الجهاز وصيانته... أقول: أذكر أنني كنت أستعين بالترجمة الإنجليزية ـ للأصل الياباني ـ لأفهم المكتوب في الترجمة العربية. مع ملاحظة أن هذا الكتيب فيه ترجمة عن الأصل بخمس لغات على الأقل.

(١٠) تصدير اللغة العربية

وأعني بذلك تعليم اللغة العربية للشعوب غير الناطقة بها عن طريق الراديو، وخصوصا شعوب العالم الثالث، وبصفة أخص الشعوب التي ترتفع فيها النسبة العددية للمسلمين. ومعروف أن تعليم اللغة يعني نقل ثقافتها وتراثها، وقيم الناطقين بها إلى الآخرين.

كما أنه يخلق نوعا من الترابط النفسي بين الدولة المرسلة والمتَلَقِّين، ولأهمية هذا العمل وخطورته يجب أن تقوم به هيئة متخصصة مشتركة من جميع الدول العربية، مع القيام بمتابعة جادة لآثار هذا «التصدير» ونتائجه.

ويحدثنا الدكتور إبراهيم إمام عن التجربة المصرية في هذا المجال فيقول[1]: «... هي تجربة ناجحة جاءت تلبية لطلبات آلاف المستمعين في آسيا وإفريقيا، واستمرت دراسة المشروع منذ عام ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٦، وشاركت في الدراسات هيئات عديدة مثل وزارة التعليم العالي، ووزارة التربية والتعليم، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية».

وهكذا بدأ المشروع بداية واثقة جادة قائمة على الأسلوب العلمي لنشر اللغة العربية، وتقوية الصلات الدينية بين مصر وسائر الشعوب الإسلامية، حتى تستطيع قراءة القرآن الكريم، وفهم نواحي الدين الإسلامي، من فقه وتشريع ومبادئ وأحاديث.

وبدأت الخطة باستخدام اللغة الإنجليزية كلغة وسيطة. ويقوم المشروع على إذاعة الدروس مصحوبة بكتب شارحة لها، وترسل الكتب مقدما إلى المستمعين طبقا لعناوينهم. ولكل منهم رقم كودي يستخدم في مراسلاته.

(١) الإعلام الإذاعي والتليفزيوني ٢٨٠ - ٢٨١.

وتذاع الدروس على ثلاث مراحل بحيث تصل بالمستمع إلى مرحلة متوسطة في المستوى اللغوي، وتنفذ كل مرحلة على مدى عام، وتتكون من واحد وخمسين درسا. ويتطور المشروع تطورا مستمرا مع العناية بالقواعد النحوية، واستخدام بعض الآيات والأحاديث والشعر كشواهد وأمثلة.

وفي سنة ١٩٦٨ بدأت عملية التدريس باستخدام اللغة الفرنسية كلغة وسيطة للمستمعين في غرب إفريقيا والجزائر وأوروبا وغيرها.

● ● ●

فالتجربة إذن ناجحة، وهي لذلك قابلة للتكرار، لذا يجب أن تكثف لها المجهودات على مستوى العالم العربي كله. وأن يفتح المجال للمؤسسات التجارية للمساهمة في هذا المشروع بالدعم المادي.

ويا حبذا أن تنتقل التجربة ـ بعد ذلك كخطوة تالية ـ إلى تعليم اللغة العربية عن طريق القنوات الفضائية بالتلفاز، وبذلك تشترك الوسيلتان: الراديو والتلفاز في أداء هذا العمل العظيم.

(١١) الرقابة اللغوية

وأخيرا: علينا أن نحقق ما يمكن أن نسميه «بالأمن اللغوي»[1] وأقصد بهذا الأمن اللغوي: استقرار اللغة على نحو صحيح سليم بعيدة عن كل ما يهددها، ويعبث بها، ويهبط بمستواها، ويكون ذلك باتباع وسائل وقائية جادة تضمن لها حياتها وبقاءها ونقاءها.

ولتحقيق ذلك أرى تشكيل هيئة «للرقابة اللغوية» تتكون من لجان متعددة يقوم بها علماء وخبراء مشهود لهم بالقدرة اللغوية، وتكون مهمتها:

أ ـ المراجعة النهائية للصحف قبيْل طبعها ـ وذلك من الناحية اللغوية والقاعدية، بحيث لا تطبع الصحيفة إلا إذا أجيزت من (الرقيب اللغوي). وتمتد هذه الرقابة كذلك إلى المواد الإذاعية والتلفازية.

وقد يبدو هذا الأمر ـ في تصوره ـ غريبا، ولكننا إذا تأملناه لم نجد فيه أية غرابة أو شذوذ، ففي بعض البلاد العربية رقابة سياسية على الصحف: ترفع منها قبل الطبع ما يتعارض مع النظام السياسي، أو ما يسيء إلى أمن الدولة والناس. سواء أكان ذلك خبرا أو مقالا، أم معلومة ذات طابع سري.

كما أن العدوان على اللغة العربية بالذات في معناها ومبناها وقواعدها يعد عدوانا على دين الأمة المسلمة: فكتابها القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، والعدوان اللغوي يبعد الأمة تدريجيا عن هذا البيان. وهو عدوان كذلك على تراثنا العربي الذي يمثل ثروة تاريخية ضخمة، فتباعدنا عن لغتنا السليمة بارتكاب الأخطاء،

---

(١) ربما يذكر هذا التركيب أو هذا الاصطلاح ـ لأول مرة، وهو قياس على اصطلاحات شاعت أخيرا مثل: الأمن الغذائي، والأمن الاجتماعي. والأمن النفسي، وقد يقسم الأمن كذلك على أساس المكان. فيقال الأمن الداخلي والأمن الخارجي.

يحقق تباعدنا عن هذا التراث التاريخي العظيم، وقد يتحول إلى انفصام منكود بيننا وبين ماضينا العظيم بكل ما ضم من ذخائر، وكل ما جمع من أمجاد.

● ● ●

وعوداً على بدء نقول: إن ما قدمناه في هذا الفصل الخير لا يمثل خطة مفصلة متكاملة، فذلك يحتاج إلى مباحث مطولة، ولكنها - كما قلنا - مجرد «معالم على طريق الإنقاذ» اعتمادا على اجتهاد شخصي آمل أن يكون صوابا. والحمد لله رب العالمين.

ملخص البحث

«أثر وسائل الإعلام الثلاثية في اللغة العربية» هذا هو عنوان البحث الذي حاولت - بقدر ما أستطيع - أن أعالج فيه جوانب هذا الموضوع المتعددة.

والبحث - كما رأينا في مسيرتنا معه - يتكون من قسمين:

القسم الأول بعنوان «اللغة العربية: المسيرة والصمود». وقد جاء في فصول أربعة.

الأول منها بعنوان: في ركب التاريخ.

والثاني منها بعنوان: أصوات إصلاحية.

والثالث منها بعنوان: رياح السّموم.

وجاء الرابع بعنوان: القوة الذاتية وعوامل البقاء.

• • •

أما القسم الثاني: فهو بعنوان: وسائل الإعلام بين الإنهاض والإجهاض.

ويضم مدخلا وثلاثة فصول:

والمدخل بعنوان ثلاثية الإعلام: الأبعاد وقدرة التأثير.

والفصل الأول عنوانه: ثلاثية الإعلام يد مع اللغة العربية.

والفصل الثاني: عنوانه: ثلاثية الإعلام يد على اللغة العربية.

والفصل الثالث: عنوانه: معالم على طريق الإنقاذ.

• • •

وقد بدأ البحث بمعايشة تاريخية للغة العربية في مسارها الطويل من العصر الجاهلي إلى وقتنا الحاضر. وكأي كائن حي تعرضت اللغة العربية لفترات من الازدهار والهناءة، كما تعرضت لفترات الاضطهاد والشقاء. ولكنها في كل الأحوال:

سرائها وضرائها ومنشطها ومكرهها لم تفقد هويتها، ولم تذْوِ شخصيتها. ويرجع ذلك إلى سببين أساسين:

الأول: ارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم، فهي وعاؤه العظيم الكريم، وهي أداؤه التعبيري المعجز، وهي لغة العبادات والذكر والصلاة، فارتباط الناس بالعربية لا يمثل مجرد ارتباط بلغة، ولكن يزيد على ذلك بأنه ارتباط بدين قيم، ومثل عليا.

والثاني: طبيعتها الذاتية، وكثرة مفرداتها، والروافد التي تغذيها وتجدد نسيجها مثل القياس، والاشتقاق، والنحت، والاقتراض، والالتصاق، والمجاز مما ينفي عنها تهمة التحجر والعجز وضيق المدى.

وبهذه القوة الذاتية بجوانبها المتعددة استطاعت اللغة العربية أن تسحق كل المؤامرات التي حيكت بِلَيْل للقضاء عليها، ولكن دعاوى المتآمرين ماتت في مهدها. ومن هذه الدعاوى:

أ ـ إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية.

ب ـ إحلال العامية أو العاميات محل العربية الفصحى.

جـ ـ افتراءات سلامة موسى وأمثاله من موالي الصليبيين، وكذبة المستشرقين.

د ـ دعوة لطفي السيد إلى ما أسماه بتمصير اللغة العربية.

هـ ـ القضاء على النحو العربي وإلغاء حركات الإعراب، وتسكين أواخر الكلمات.

• • •

وقد فند البحث كل هذه الدعاوى الساقطة التي ماتت في مهدها ولم يكتب لها البقاء:

١ ـ لأنها دعاوى كان وراءها نوايا خبيثة، إذ كان هدفها القضاء على العربية لا نشرها ولا إنماءها، ولا تيسيرها، كما زعم هؤلاء.

٢ ـ ولأنها دعاوى غير مدروسة، ولم تقم على أساس سليم متين. بل اعتمدت على أكاذيب وأباطيل لا تتفق مع الواقع، ولا مع الحد الأدنى من العقل والعلم.

٣ ـ ولأن طبيعة اللغة العربية معنويا وبنيويا وقاعديا لا تتفق مع طبيعة هذه الدعاوى. فليس من اللازم أن يكون الصالح للغة ما كان صالحا لغيرها من اللغات.

• • •

ووجود هذه الأصوات المنكرة المنكودة لا يلغي وجود أصوات إصلاحية وراءها رصيد عظيم من العلم وطيب النوايا. مثل الذي عرضه الأستاذ محمود تيمور وإبراهيم مصطفى وشوقي ضيف من اجتهادات لتيسير عرض العربية وإنمائها ونشرها على أوسع نطاق.

• • •

كل أولئك جاء مفصلا في القسم الأول من البحث، ومن حق السائل أن يسأل: وما علاقة ذلك بوسائل الإعلام وأثرها في اللغة العربية؟

وإني لأقول: إن العلاقة جد وثيقة:

١ ـ فمن البدهي أن نتعرف على طبيعة المتاثر وقيمته وأصالته حتى نستطيع أن نعرف نوع التأثر ومداه، وسطحيته أو عمقه، ومدى قابلية هذا «المتأثر» لتأثيرات المؤثر وتوجيهاته.

٢ ـ ولأن الصحافة ـ وهي أقدم وسائل الإعلام ـ هي التي كانت تعرض ـ ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر ـ الدعوات والدعاوى والآراء التي تمثل ـ في أغلبها ـ سهاما موجهة للغة العربية، ويمثل بعضها دروعا وتروسا تحاول أن تتكسر عليها نصال العدوان. وبذلك يكون البحث ـ وقد خاض هذ المخاض ـ في دائرة الموضوع سائرا، بل في جوهره ولبه مستقيما.

• • •

وفي القسم الثاني ـ وهو القسم الأساس الرئيس ـ يبرز البحث في مدخله مفهوم ثلاثية الإعلام، وما التقت عليه من صفات، وما اختلفت فيه من خصائص، وخطورة هذه الثلاثية في التعامل مع اللغة العربية.

ويبين عما حققت هذه الوسائل من إيجابيات تكاد تتلخص فيما يأتي:

١ ـ تنبيه الوعي، وخلق نوع من «التقريب» الفكري والشعوري والسلوك الاجتماعي.

٢ ـ القضاء ـ إلى حد كبير أو ـ على الأقل ـ التخفيف الحقيقي من الفروق اللغوية بين اللهجات العامية المختلفة.

٣ ـ طرح «اللغة الإعلامية» كأداء تعبيري للمفكرين والكتّاب والمتحدثين في الراديو والتلفاز. وهي لغة تتسم بالسهولة والمباشرية، والتخفف من القوالب التراثية، وتجنب المقدمات الطويلة والمحسنات اللفظية والبيانية.

٤ ـ تزويد العربية بكثير من الألفاظ والتراكيب الجديدة، وكثير منها مترجم عن اللسان الأجنبي.

• • •

ولكن التأثيرات الضارة كانت أفدح وأعتى:

١ ـ فالإعلانات ـ وخصوصا التلفازي منها ـ كانت انتصارا للعاميات، وترويجا للغات الأجنبية، ونشرا للنطق المعيب لكلمات العربية وإفسادا للذوق الفني والحس اللغوي. وقد حققت الإعلانات ذلك في سرعة عجيبة لأنها تعرض بأسلوب فني فتّان، موظفة ـ بإمكاناتها الضخمة ـ أحدث الوسائل التي تحقق جمال العرض وبراعته، فأصبح الأطفال بخاصة متعلقين بها إلى أقصى مدى.

٢ ـ وفي الإعلانات الصحفية أصبحت الأخطاء اللغوية والقاعدية هي الأصل، أما سلامة اللغة فهي الاستثناء. زيادة على أن كثيرا منها يكون مطعما بالقوالب والكلمات الأجنبية بحروف لاتينية، أو حروف عربية.

٣ ـ ويأتي بعد ذلك ما أسميته «بأخطاء الكبار» في الإذاعة والتلفاز بخاصة. وخطأ «الكبير» من المفكرين والقادة والكتاب أشد خطرا من أخطاء «العاديين» لأن الآخرين يتلقفونه ويستخدمونه مطمئنين إلى «صحته وسلامته» لأنه صدر من «كبير مشهور».

٤ ـ وقد تبنت هذه الوسائل، وما زالت تتبنى الأخطاء الفادحة ـ وسامح الله مذيعات التلفاز ـ الأخطاء في المفردات وفي الجمل والتراكيب والحوار والمناقشات. والأخطاء في مخارج الحروف ونطق كلمات العربية بلكنة عامية، أو أجنبية. مما عرضه البحث مقدما أمثلة متعددة لكل نوعية من هذه النوعيات.

● ● ●

وأخيراً يقدم البحث ما أسماه «معالم على طريق الإنقاذ» فيقدم المقترحات والتوصيات الآتية:

١ ـ يجب ألا يشغل منصب إعلامي ـ وأعني به الصحفي والمذيع في الراديو والتلفاز ـ إلا من كان جديرا بهذا العمل، وذلك باجتيازه امتحانات جادة تبين عن شخصيته وقدراته.

٢ ـ إصدار معجم إعلامي شامل: يضم الأعلام العربية والأعجمية، والألفاظ والعبارات التي يحتاج إليها الإعلامي أكثر من غيرها. وكذلك الأخطاء، التي تشيع بين الإعلاميين، مع بيان علة الخطأ وصورة الصواب.

٣ ـ استخدام العربية الفصحى كلغة أداء في كل وسائل الإعلام، وتجنب العاميات، والألفاظ الأجنبية.

٤ ـ مراقبة الإعلانات مراقبة جادة، وعدم السماح بعرضها إلا إذا كانت بالعربية الفصحى، ملتزمة بعدم الخروج عن ديننا، وقيمنا الروحية والأخلاقية.

٥ ـ تطوير البرامج التعليمية المقدمة من التلفاز، بصفة خاصة، وبعدها عن النمطية المملة، وانطلاقها إلى المدارس، وتقديم بعض حلقات منها، وتوظيف وسائل التقنية الحديثة لتحقيق جمال العرض وجاذبيته.

٦ ـ الاهتمام بالملاحق الأدبية في الصحف، وتخصيص مساحة منها لنصوص تراثية ودروس نحوية، وعرض الأخطاء الشائعة، ويكون ذلك بصفة دائمة ثابتة.

٧ ـ تطوير المجلات والصحف الدينية لتستوفي العناصر الجمالية الفنية في الإخراج، حتى ترتفع نسبة توزيعها، والبحث يدعو إلى ذلك لأن المستوى اللغوي لهذه المجلات يعتبر رفيعا إذا قيس بالمستوى اللغوي للصحف والمجلات الأخرى.

٨ ـ تطوير برامج محو الأمية التي تعرض في التلفاز بخاصة، وتعميمها على مستوى الوطن العربي، بصورة عصرية جذابة، على أن تُدفع إلى الأمام بحوافز ومشجعات جادة.

٩ ـ نشر طروحات المجمع اللغوي على أوسع نطاق حتى لا تبقى هذه الطروحات حبيسة الكتب والمجلات المتخصصة التي لا يسمع بها إلا الأقلّون. وعلى وسائل الإعلام أن تتلقف كل جديد يصدره المجمع من ألفاظ الحضارة وتقدمه للناس بصورة دائمة منتظمة.

وعلى المجامع اللغوية أن توحد ألفاظ الحضارة على المستوى العربي، حتى لا يترك ذلك للاجتهادات الشخصية. ومن ثم يجب ألا ينشر «المصطلح العربي» أو «المعرب» أو الأجنبي إلا بعد الإجماع على إقراره والأخذ به.

١٠ ـ واللغة العربية بخصائصها التي تحدثنا عنها في الفصل الرابع من القسم الأول تعتبر لغة عالمية. لذا يجب «تصديرها» لدول العالم الثالث، وخصوصا الدول التي ترتفع فيها نسبة المسلمين، ويكون ذلك عن طريق برامج تعليمية مخطط لها بدقة، تذاع عن طريق الراديو والقنوات الفضائية.

١١ ـ وحرصا على سلامة لغتنا، وحمايتها من السقوط والجنايات التي ترتكب ضدها ـ بقصد أو بغير قصد ـ في ثلاثية الإعلام، يدعو البحث إلى أن يكون هناك على مستوى الدول العربية كلها «هيئات الرقابة اللغوية»، بحيث لا يجاز طبع الصحيفة أو تقديم المادة الإذاعية أو التلفازية إلا بعد إقرارها من الهيئة أو اللجنة المخصصة «للرقابة اللغوية» ومهمتها الأصلية «إجازة ما هو صحيح لغويا»، ويكون لهذه الهيئة أو الهيئات ـ زيادة على هذه المهمة الوقائية ـ «مهمة علاجية»، وهي متابعة ما أجازته بعد ذلك لترى مدى التزام وسائل الإعلام بما أقرت وأجازت، ويجب أن ترصد للمخالفات عقوبات رادعة.

• • •

تلك كانت خلاصة مكثفة بل مقطرة للخطوط العريضة للبحث. آمل أن تكون دالّة، ملقية بعض الضوء على مضامينه. وفي النهاية أدعو الله أن يرزقنا حب الحق والحقيقة، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه. إنه نعم المولى ونعم النصير.

د. جابر قميحة

غرة المحرم ١٤١٥هـ

المراجع

١ ـ آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم. د. جابر قميحة، رابطة العالم الإسلامي. مكة: العدد ١١٦ من سلسلة دعوة الحق: ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢ ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتليفزيون العربي. د. عبدالرحمن عيسوي، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣ ـ الاتصال والرأي العام. د. عاطف عدلي العبد، دار الفكر العربي. القاهرة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ أثر مشاهدة التليفزيون على عادة القراءة عند الأطفال. د. راشد بن حمد العودة الفضلي، وزارة المعارف السعودية ـ كلية المعلمين بالدمام ـ ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٥ ـ أثر وسائل الإعلام على الطفل. د. عبدالفتاح أبو معال، دار الشروق: عمان. الأردن، ط١.

٦ ـ أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين. د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب. القاهرة. ط١. ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٧ ـ أساس البلاغة. الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر، مطبعة دار الكتب ١٩٧٢م.

٨ ـ الأسس العلمية لنظريات الإعلام د. جيهان أحمد رشتي. دار الفكر العربي. القاهرة. د.ت.

٩ ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. د. نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة ٩ سبتمبر ١٩٧٨م. الكويت.

١٠ ـ أطر استفادة الشباب في المملكة العربية السعودية من الجرائد والمجلات (بحث ميداني. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (٢)، الآداب (١) ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

١١ ـ الأطفال ومحتوى الإعلانات في التليفزيون السعودي. د. سامي محمد ربيع الشريف، فصلية «الدارة» العدد الرابع ـ السنة ١٩ (رجب ـ شعبان ـ رمضان ١٤١٤هـ).

١٢ ـ الإعلام الإذاعي والتلفزيوني. د. إبراهيم إمام. دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٥. القاهرة.

١٣ ـ الإعلام واللغة. د. محمد سيد محمد. عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٤ ـ ألفاظ الحضارة لعام ١٩٧٢م: محمود تيمور (محاضرة ألقاها في مؤتمر الدورة الثامنة والثلاثين لمجمع اللغة العربية المنعقد في القاهرة من ٢٢ من ذي الحجة ١٣٩١هـ ـ ٦ من المحرم ١٣٩٢هـ) (٧ من فبراير ١٩٧٢م ـ ٢١ من فبراير ١٩٧٢م) منشورة ص٢٦١ من القسم الثاني من المجلد الذي أصدره المجمع ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م ـ القاهرة).

١٥ ـ تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر د. نفوسة زكريا سعد، دار المعارف. القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٦ ـ تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك). الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. دار المعارف، ط٣، القاهرة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

١٧ ـ تعريب الأساليب. عبدالقادر المغربي. بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٣٣٢/١ ـ ٣٤٩. القاهرة ١٩٣٥م.

١٨ ـ دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية. د. أحمد محمد المعتوق. (بحث ص٥٥ ـ ص١١٨ من مجلة رسالة الخليج العربي. يصدرها مكتب التربية العربي لدول الخليج. العدد ٤٧ السنة الرابعة عشرة ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٩ ـ شمس العرب تسطع على الغرب. زيغريد هونكه (أثر الحضارة العربية في أوروبا)، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الآفاق الجديدة، بيروت ـ ط٥ (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

٢٠ ـ العرب في أوروبا. د. علي حسن الخربوطلي. الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.

٢١ ـ العربية لغة العلوم والتقنية. د. عبدالصبور شاهين. دار الإصلاح الدمام، ط١، ١٩٨٣م.

٢٢ ـ العصر الجاهلي. د. شوقي ضيف. ط٨، دار المعارف ١٩٧٧م، القاهرة.

٢٣ ـ علم الاتصال المعاصر د. عبدالله الطويرقي. مطابع الفرزدق. الرياض. ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٤ ـ الفروق اللغوية. لأبي هلال العسكري. ضبطه وحققه حسام الدين القدسي. دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٥ ـ الفصحى بين نظريتين: نظرية القدماء ونظرية المحدثين: (بحث) د. حسن عيسى أبو ياسين. مجلة جامعة الملك سعود، مجلد (٣) الآداب (١) ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦ ـ فقه اللغة وسر العربية : للثعالبي أبي منصور إسماعيل (د. ت)

٢٧ ـ الفكر التربوي العربي الحديث. د. سعيد إسماعيل علي. عالم المعرفة ١١٣ ـ رمضان ١٤٠٧هـ ـ مايو ١٩٨٧م.

٢٨ ـ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية. جرجي زيدان. دار الهلال. القاهرة ١٩٦٩م.

٢٩ ـ في اللغة والأدب. د. إبراهيم بيومي مدكور. اقرأ: العدد ٣٣٧ ـ يناير ١٩٧١م. دار المعارف. القاهرة.

٣٠ ـ في اللهجات العربية. د. إبراهيم أنيس، لجنة البيان العربي، ط٢، القاهرة ١٩٥٢م.

٣١ ـ القاموس السياسي: أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٤، ١٩٨٠م.

٣٢ ـ القاموس المحيط: الفيروز آبادي، مؤسسة الحلبي. القاهرة د.ت

٣٣ ـ قضايا اللغة العربية المعاصرة. د. شكري فيصل (بحث) (ص٣٠ ـ ص٥٥) من كتاب من قضايا اللغة العربية المعاصرة: له ولآخرين، تونس ١٩٩٠م.

٣٤ ـ قضايا في الإعلام والمجتمع. د. عبدالله مسعود الطويرقي. الرياض ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٥ ـ قضايا ومشكلات لغوية: أحمد عبدالغفور عطار. تهامة ـ جدة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣٦ ـ كتاب الفرق. لابن فارس: أبي الحسين أحمد. تحقيق د. رمضان عبدالتواب. ط١. ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٣٧ ـ الكلام المُوَلَّد في مجامعنا الحديثة: أنيس المقدسي. محاضرة في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة (الدورة الحادية والثلاثون ـ القاهرة ١٩٦٤م).

٣٨ ـ لسان العرب. ابن منظور المصري. دار المعارف القاهرة. د.ت.

٣٩ ـ اللغة. ج. فندريس، تعريب عبدالحميد الدواخلي ـ د. محمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة ١٩٥٠م.

٤٠ ـ اللغة الإعلامية: د. عبدالعزيز شرف. دار الجيل ـ بيروت. ط١. ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٤١ ـ لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط. د. إبراهيم درديري. دار العلوم للطباعة والنشر ـ الرياض (١٩٨١م).

٤٢ ـ اللغة بين الفرد والمجتمع. أوتوجسيرسن. ترجمه بتصرف وعلق عليه: د. عبدالرحمن أيوب. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة (د.ت)

٤٣ ـ لغة الجرائد. الشيخ إبراهيم اليازجي. جمعه وقدمه نظير عبود. دار مارون عبود. لبنان. ط٤، ١٩٨٤م.

٤٤ ـ اللغة الشاعرة. عباس محمود العقاد، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٠م.

٤٥ ـ اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها: ناحية التحصيل. د. عبدالعزيز عبدالمجيد، دار المعارف. القاهرة. ط١ ١٩٥٢

٤٦ ـ اللغة العربية عبر القرون. د. محمود فهمي حجازي. دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٨م..

٤٧ ـ اللغة العربية في باكستان: دراسة وتاريخا. د. محمود محمد عبدالله. من منشورات وزارة التعليم الفيدرالية، إسلام آباد، ط١، ١٩٨٤م.

٤٨ ـ اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي. د. مازن المبارك. مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٩٧٣م.

٤٩ ـ اللغة العربية في مؤسسات التعليم العام والتعليم العالي. ووسائل النهوض بها في مصر. د. محمود حافظ. محاضرة (من ص٧ إلى ص٢٨). منشورة في كتاب: الموسم الثقافي السادس لمجمع اللغة العربية الأردني (من السبت ١ شعبان ـ السبت ٢٢ شعبان ١٤٠٨هـ ـ ١٩ مارس ١٩٨٨م ـ ٩ أبريل ١٩٨٨م)، ط١، عمان ـ الأردن، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٠ ـ اللغة العربية وتحديات العصر: ريمون طحان ـ ونيز بيطار طحان. دار الكتاب اللبناني، بيروت. ط٢. ١٩٨٤م.

٥١ ـ اللغة العربية والتقدم العلمي والتقاني في الوطن العربي. شحادة الخوري. من ص٢٩ إلى ص٤٢ من مجلة التعريب التي تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (دمشق) السنة الأولى ـ العدد الأول (رمضان ١٤١١هـ ـ (مارس) ١٩٩١م.

٥٢ ـ اللغة والمجتمع. د. على عبدالواحد وافي. دار إحياء اللغة العربية القاهرة ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م.

٥٣ ـ مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما (١٩٣٢ ـ ١٩٦٢م) ماضيه وحاضره. د. إبراهيم بيومي مدكور الأمين العام للمجمع (الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م).

٥٤ ـ محاولات تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا. د. شوقي ضيف. محاضرة ألقاها بعمان يوم السبت ١١ شعبان ١٤٠٤هـ ـ ١٢ مايو ١٩٨٤م.

٥٥ ـ المدخل إلى وسائل الإعلام: د. عبدالعزيز شرف. دار الكتاب المصري ـ اللبناني. القاهرة. بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٦ ـ المرونة في اللغة العربية: منشؤها ومظاهرها وأثرها في التيسير والتجديد، عبدالحميد حسن عضو المجمع (من ص ١٢٧ إلى ص١٣٥ من مجلد (البحوث والمحاضرات) الذي أصدره المجمع اللغوي بالقاهرة بحوث مؤتمر الدورة التاسعة والعشرين (١٩٦٢ ـ ١٩٦٣م) القاهرة: المطابع الأميرية ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.

٥٧ ـ المزهر في علوم اللغة: السيوطي: جلال الدين. مطبعة بولاق (د.ت).

٥٨ ـ مستقبل اللغة المشتركة : د. إبراهيم أنيس. معهد الدراسات العربية. القاهرة ١٩٦٠م.

٥٩ ـ مستويات العربية المعاصرة في مصر. د. السعيد محمد بدوي، دار المعارف. القاهرة ١٩٧٤م.

٦٠ ـ مشكلات اللغة العربية. محمود تيمور. منشورات المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت. د.ت

٦١ ـ معجم مصطلحات الإعلام A DICTIONARY OF MASS COMMUNICATION. د. أحمد زكي بدوي. (دار الكتاب المصري ـ اللبناني. القاهرة : بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٦٢ ـ المعَرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. لأبي منصور الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (٤٦٥ ـ ٥٤٠هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط٢، دار الكتب المصرية ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٦٣ ـ مقدمة ابن خلدون. عبدالرحمن بن خلدون. دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٩م، ط٢.

٦٤ ـ الموجّه الفني لمدرّسي اللغة العربية. عبدالعليم إبراهيم. دار المعارف. القاهرة. ط١٣. ١٩٨٤م.

٦٥ ـ الموسوعة العربية الميسرة. مجموعة من كبار الكتاب والمفكرين. (دار الشعب. القاهرة. د.ت).

٦٦ ـ الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر: المرزباني، أبو عبيد الله، محمد بن عمران. دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٥م.

٦٧ ـ نحو لغة عربية سليمة. د. حاتم الضامن وآخرون (دار الحرية للطباعة. بغداد ١٩٧٨م).

٦٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) تحرير جورج غازدا ـ وريموندجي كورسيني ومشاركة مجموعة من الكتاب الآخرين، ترجمة د. علي حسين حجاج. عالم المعرفة (٧٠) ذو الحجة ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤هـ أكتوبر ١٩٨٣م.

٦٩ ـ الواقع اللغوي والهوية العربية. د. أحمد سمير بيبرس. (د.ت)، دار الفكر العربي. القاهرة. د.ت

٧٠ ـ ومضات وشبهات في دراسات المستشرقين اللغوية. د. غازي مختار طليمات. من ص٢٠ ـ ٢٣ من مجلة القافلة (المحرم ١٤١٥هـ ـ يونية / يولية ١٩٩٤م).

71- Harry Goldstein, "Reading and Listening comprehension at Various controlled Rates" (BN.Y.: Teachers Colege, columbia University Burea of Pubications.

الفهرس

الموضوع — الصفحة

إصدارات نادي المدينة المنورة الأدبي

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ذكريات طفل وديع ط (١)	عبد العزيز الربيع
٢	الشعر الحديث في الحجاز	عبد الرحيم أبو بكر
٣	شعراء من أرض عبقر جـ ١	د. محمد العيد الخطراوي
٤	شعراء من أرض عبقر جـ ٢	د. محمد العيد الخطراوي
٥	في ظلال السماء	محمد هاشم رشيد
٦	على دروب الشمس	محمد هاشم رشيد
٧	على ضفاف العقيق	محمد هاشم رشيد
٨	همسات في أذن الليل	د. محمد العيد الخطراوي
٩	غناء الجرح	د. محمد العيد الخطراوي
١٠	ترانيم العودة	ناجي محمد حسن وفوزان الحجيلي
١١	الفيصليات	عبد الحميد ربيع
١٢	رعاية الشباب في الإسلام ط (١)	عبد العزيز الربيع
١٣	جرح الإباء	أحمد فرح عقيلان
١٤	أضواء على حقائق	محمد المجذوب
١٥	بيت وشاعر	خالد محمد اليوسف
١٦	الحفل المسرحي	إعلامي عن النادي
١٧	جداول وينابيع	عبد الرحمن رفة
١٨	الجناحات الخالدان	محمد هاشم رشيد
١٩	على أطلال إرم	محمد هاشم رشيد
٢٠	ثلاثة أعوام مع مسابقة القرآن الكريم	دخيل الله الحيدري - ووهبة الجبالي
٢١	رسالة إلى ليلى	أحمد فرح عقيلان
٢٢	في رحاب الجهاد المقدس	إبراهيم العياشي
٢٣	بحث الشيخ محمد بن عبد الوهاب	مسلم الجهني
٢٤	في موكب الضياء	أبو زيد إبراهيم سيد
٢٥	الفنون التعبيرية	عبد العزيز الربيع
٢٦	أباريق النور	محمد عادل سليمان
٢٧	في غيابة الجب	علي الفقي
٢٨	المدينة المنورة في التاريخ	عبد السلام هاشم حافظ
٢٩	ذكريات طفل وديع ط ٢	عبد العزيز الربيع
٣٠	رعاية الشباب في الإسلام ط ٢	عبد العزيز الربيع

عدد	اســــــم الكتــــــاب	اسم المؤلف
٣١	حروف في الرماد	محمد صالح البليهشي
٣٢	هموم عربية	أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
٣٣	المدينة اليوم	محمد صالح البليهشي
٣٤	لمحات عن حياة الربيع	محمد صالح البليهشي
٣٥	ضفاف الذكريات	مجدي خاشقجي
٣٦	مبضع الجراح	إبراهيم العياشي
٣٧	صور وذكريات عن المدينة المنورة	عثمان حافظ
٣٨	قصص لا تنسى	محمد المجذوب
٣٩	تحفة اللبيب	محمد المجذوب
٤٠	مع المجاهدين في باكستان	محمد المجذوب
٤١	المجموعة الشعرية الكاملة جـ ١	عبد السلام هاشم حافظ
٤٢	مسيرة ٨ أعوام لنادي المدينة المنورة الأدبي	محمد صالح البليهشي
٤٣	طيبة وفنها الرفيع	م. حاتم طه
٤٤	أيسر التفاسير جـ ١	أبو بكر الجزائري
٤٥	أيسر التفاسير جـ ٢	أبو بكر الجزائري
٤٦	أيسر التفاسير جـ ٣	أبو بكر الجزائري
٤٧	أيسر التفاسير جـ ٤	أبو بكر الجزائري
٤٨	الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية	د. عبد الله الحامد
٤٩	شاعر الخليج	عبد الله أحمد الشباط
٥٠	أدب ونقد	محمد المجذوب
٥١	ردود ومناقشات	محمد المجذوب
٥٢	دعوة سليمان عليه السلام	علي منسى عشكان
٥٣	حروف من دفتر الأشواق	د. محمد العيد الخطراوي
٥٤	دموع وكبرياء	حسن مصطفى صيرفي
٥٥	في الفكر والأدب (دراسات وذكريات)	د. حسن بن فهد الهويمل
٥٦	دراسات قرآنية ـ المجلد الأول	نادي المدينة المنورة الأدبي
٥٧	الأخطبوط (قصة)	ناجي محمد حسن عبد القادر
٥٨	طيبة في عيون فنان تشكيلي	فؤاد مغربل
٥٩	تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا	أحمد ياسين الخياري
٦٠	تفاصيل في خارطة الطقس	د. محمد العيد الخطراوي
٦١	وداعا أيها الحزن (رواية)	غالب حمزة أبو الفرج
٦٢	نصوص مختارة	محمد المجذوب

عدد	اســـم الكتـــاب	اسم المؤلف
٦٣	الأعمال الشعرية الكاملة المجلد الأول	محمد هاشم رشيد
٦٤	الولوج من ثقب إبرة	علي عبد الفتاح السعيد
٦٥	من بدائع الأدب الإسلامي	د. محمد سعد الدبل
٦٦	المنظمة الدولية للشرطة الجنائية، الانتربول ودورها في مكافحة الجرائم الدولية للمخدرات	النقيب محمد حسن زهير آل شقلوت العمري
٦٧	وقفات على الماء	إبراهيم عمر صعابي
٦٨	شعر ضياء الدين رجب بين الموقف والصياغة	عبد الله أحمد باقازي
٦٩	المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ	د. عاصم حمدان علي حمدان
٧٠	التعليم الأهلي في المدينة المنورة (١٣٤٤ ـ ١٤٠٨هـ) دراسة تاريخية وصفية.	دخيل الله عبد الله الحيدري
٧١	المجموعة الشعرية الكاملة جـ ٢	عبد السلام هاشم حافظ
٧٢	آلام وأحلام	محمد المجذوب
٧٣	سلاح الكلمة الشاعرة، إسهام النادي الأدبي خلال أزمة الخليج	النادي الأدبي بالمدينة
٧٤	تراثنا المخطوط في العلوم التطبيقية والبحتة	مصطفى عمار منلا
٧٥	وقفات في حرب الخليج	محمد بن صنيتان
٧٦	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الأول	أحمد سعيد سلم
٧٧	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الثاني	أحمد سعيد سلم
٧٨	موسوعة الأدباء السعوديين القسم الثالث	أحمد سعيد سلم
٧٩	ملاعبة الصيد	أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
٨٠	في ذاكرة الصحراء دراسات نقدية في نصوص شعرية سعودية معاصرة	محمد إبراهيم الدبيسي
٨١	ملف العقيق المجلد الأول	يصدر عن النادي
٨٢	آفاق شعرية (قراءة لما وراء النص)	محمد محمود جاد الله
٨٣	اللمعة في صنعة الشعر	د. صلاح الدين محمد الهادي
٨٤	ملف العقيق المجلد الثاني	يصدر عن النادي
٨٥	فن الرماية بالسهام الحديثة	د. عدنان درويش جلون
٨٦	ملف العقيق المجلد الثالث	يصدر عن النادي
٨٧	المستدرك في شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ١٣٢هـ ج ١ «الدراسة الموضوعية والفنية»	د. عبد الرحمن الوصيفي

عدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٨٨	المستدرك في شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ١٣٢هـ ج ٢ «الجمع والتحقيق»	د. عبد الرحمن الوصيفى
٨٩	نحن والآخر	د. عاصم حمدان
٩٠	المسرح الشعري «بعد شوقي»	د. محمد عبد العزيز الموافي
٩١	دراسات أدبية «المجلد الرابع»	من محاضرات النادي
٩٢	ملف العقيق - المجلد الرابع	يصدر عن النادي
٩٣	دراسات في الأدب الإسلامي - المجلد الخامس	من محاضرات النادي
٩٤	ملف العقيق - المجلد الخامس	يصدر عن النادي
٩٥	عمارة وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر التاريخ	ناجى محمد حسن عبد القادر الأنصاري
٩٦	مهد الذهب	عبد العزيز الحازمى وعلى عودة
٩٧	مسيرة ٢٠ عاما لنادي المدينة المنورة الأدبي	محمد صالح البليهشي
٩٨	دراسات حول المدينة المنورة	من محاضرات النادي
٩٩	رائحة الزمن الآتي	إبراهيم الوافي
١٠٠	مدخل إلى تحقيق النص الشعري	د. عبد الرحمن محمد الوصيفي
١٠١	لن أعود إليك	وفاء الطيب
١٠٢	دراسات في الأدب الحديث	من محاضرات النادي
١٠١	لن أعود إليك	وفاء الطيب
١٠٢	دراسات في الأدب الحديث (المجلد الثالث)	من محاضرات النادي
١٠٣	عمر بن شبة	د.سلام شافعي
١٠٤	ملف العقيق + المجلد السادس	يصدر عن النادي
١٠٥	أثر وسائل الإعلام	د.جابر قميحة